١٦

عقب السيجارة

بدأت حياتى بزواج فاشل انتهى بخيانة زوجية وطلاق .. أعقبته سنوات من الوحدة والمرارة والخراب والأعصاب التالفة والأمراض والمتاعب الجسمية والنفسية من كل نوع .

كنت أشكو الصداع المزمن وسوء الهضم وأدمن على المنومات والمسكنات .

وكان هناك ما يدمرنى أكثر من هذه المنغصات الجسدية ..

الشك وسوء الظن وفقدان الثقة وفقدان الأمل واليأس من الدنيا .. ومن الوفاء .. ومن جنس النساء على إطلاقهن ..

عشت سنوات وأنا بهذه الحالة النفسية . أتحرك مذهولا شاردا كشبح .. أعيش فى عزلة مهما خالطت الناس ومهما غشيت السهرات والمنتديات .. وأحيانًا كانت هذه السهرات تزيدنى وحدة .. كنت أشعر أنى منفصل عن الضحكات حولى .. منعزل عن القهقهات المرحة .. غائب فى نفسى .. فى التيه المظلم فى داخلى ..

ظللت على هذه الحال حتى عرفتها ، كانت امرأة فى الأربعين مريضة عليلة ذابلة .. امتص حياتها ثلاثة أزواج لم يتركوا لها سوى أثر باهت من جمال ، وبقايا من جسد مرهق وبيت خرب .. ولا طفل .. ولا طفلة .. ولا ذكرى ..

وبدأ كل منا ينفض همومه إلى الآخر ..

وتوثقت بيننا مع الزمن رابطة غريبة .. هى رابطة الألم ..

كانت تقول لى .. وعيناها دامعتان ..

مانفعى .. لقد انتهيت .. لم يعد هناك رجل يمكن أن ينظر إلى ..

ولكنى كنت أنظر إليها وأحتضنها بعينى وقد ذابت شكوكى على وقع كلماتها .

أخيرًا .. أحسست أنى أثق فى امرأة من جديد ..

كيف حدث هذا ؟. لست أدرى !

وتطورت الأمور بسرعة .. وعرضت عليها الزواج ..

وثارت العائلة .. وواجهنى الكل بزوبعة من الصراخ والاحتجاج ..

كيف تتزوج من هذه العجوز العليلة الذابلة التى امتصها الرجال .. وأنت رجل فى الثلاثين فى كمال رجولتك وصحتك .. غنى جميل جذاب .. لا ينقصك شىء ..

إنك تلتقط عقب سيجارة دخنها الكل . ولم تعد تصلح لشىء

وصارحنى خالى الطبيب بأن مرضها لن يمهلها أكثر من سنة .. وأنها مقضى عليها بالموت لا محالة .. فزاد هذا من تمسكى بها .

وأنا الآن أستعد لإتمام الزواج فى الأيام القليلة القادمة ..

سوف أتزوجها مهما حدث ..

الكل ضدى .. الكل يخذلونى .. ولكنى أحبها ما رأيك فى هذا الحب .. ؟

* * *

أخشى أن أقول لك إن هذا ليس حبًا كما تتصور .. إنه مرضك العصبى الذى وجد دواءه فى هذه المرأة .. إن مشكلتك الحقيقية .. أنك فقدت الثقة فى كل النساء .. وأصبح ظل الخيانة يحوم حول كل امرأة تنظر إليها ..

ولهذا استحال أن يتجدد حبك ..

ولهذا ظللت تعيش فى وحدة وضياع حتى عثرت على هذه المرأة .

امرأة انتهت على حد تعبيرها هى .. ولم يعد لها نفع .. ولم يعد من الممكن أن ينظر إليها رجل . كانت هذه الكلمات كقطرات الندى التى نزلت على أعصابك .

هاهى ذى امرأة لا يمكن أن تكون موضع شك .. ولا موضع خيانة ..

وشعرت بالراحة .. فى أعماقك .. فى أعماق عقلك الباطن ..

وحينما قال لك خالك الطبيب .. إنها ميتة .. ولن تعيش أكثر من سنة .. شعرت بالاطمئنان أكثر ، فسوف تتزوج جثة لا يمكن أن تخونك أبدًا ..

كانت هذه الأحاسيس تخالجك من الباطن وكان عقلك الواعى يخدعك ويصور لك هذه الأحاسيس والروابط على أنها حب ..

ولكنها ليست حبًا .. إنها عقابك لنفسك .. وسوء ظنك الذى تحكم فيك .. ثم حكم عليك بهذا الاختيار المريض ..

انظر إلى حياتك من جديد .. وحاول أن تتخلص من هذه العقدة .. إن الدنيا مليئة بالبنات .. وبالإخلاص والحب والخير .

١٧

وما هى النظافة .. ؟

كانت جارتى ..

تبادلنا النظرات .. ثم الإشارات .. ثم تلاقينا .. لنتبادل الهمس وليضغط كل منا على يد الآخر .. ثم ذهبنا إلى سينما ... وفى الظلام وشوشت فى أذنها بكلمة الحب .. ولثمت يدها .. وخدها ..

وبعد شهور اختليت بها فى بيتى وأعطتنى نفسها .. جسمًا وروحًا ..

ومنذ أيام .. كنا نتكلم أنا وأبى وأمى .. ولاحظت أن أبى وأمى يتبادلان النظرات والابتسامات .. ثم قالا لى إنهما خطبا لى عروسة .. وذكرا لى اسمها .. ودار رأسى .. وأظلمت الدنيا فى عينى .. فقد كانت هى نفسها .. جارتى ..

وكان أبى وأمى يتكلمان فى براءة ..

وكانا مسرورين .. وكانا يقولان إنها بنت طيبة وشريفة .. ومن أصل طيب .. ومن المدرسة إلى البيت .. ومن البيت إلى المدرسة .. ولا تعرف مياعة بنات اليومين دول .. ولم تطلع عليها سمعة سيئة مثل غيرها من بنات الجيران ..

وكنت أسبح فى عرق ..

لقد كنت الوحيد الذى يعلم أمر هذه البنت الشريفة الطيبة التى لا تعرف مياعة بنات اليوم .

كنت أنا الوحيد الذى أعرف مياعتها .. ودلعها .. وخسارتها .

ولأول مرة .. حينما بدأت أتصور أنها زوجتى .. أحسست أنى أكرهها .. بكل ما فى كلمة الكراهية من معنى .. ولا أطيق رؤيتها ..

لقد كان حلمى .. طول حياتى .. أن أعثر على امرأة طاهرة .. وأن أبنى بيتى على حب طاهر نظيف ..

ترى .. هل فات الأوان .. ؟

* * *

كان يجب أن تكره نفسك أولا ..

وكان يجب أن تبحث عن الشىء النظيف فى داخلك أنت أولا ..

إنك باسم الحب استدرجت صاحبتك حتى اختليت بها .. ثم بصقت عليها .. واعتبرتها غير نظيفة ..

غير نظيفة لماذا ؟ لأنها صدقت كلامك .. وطاوعت رغبتك .. لأن فيها نفس الضعف الذى فيك ..

إن الرجال أمثالك هم أسباب محنة البنات وعذابهن ويأسهن ..

إن الرجال أمثالك : يجرون خلف المرأة .. فإذا استسلمت .. تركوها وإذا ردتهم خائبين .. تركوها أيضًا !

والنتيجة أن البنت تقع فى ورطة .. ماذا تفعل لترضى الرجل ؟ إنها إذا قاومته قال عنها رجعية .. وإذا استسلمت له قال عنها غير نظيفة ..

وهو يدعى أنه يبحث عن حب طاهر . وهو فى الحقيقة يكذب .. لأن الحب الطاهر لا يعنيه بالمرة ..

والنهاية أن يتزوج فى سن اليأس بعد أن يتعب من نفسه ومن غبائه .. ويترك ذقته للخاطبة .. أو للمصادفة تختار له .. ويدخل على امرأة ليس بينه وبينها

تعارف ولا تفاهم .. ويتحول إلى زوج شكاك غيور سخيف .. وتخونه زوجته من أول يوم لأنه لا يحتمل .

وهو فى أحسن الأحوال يكون زوجًا غبيًا بليدًا ميت الإحساس يائسًا من نفسه ومن مثالياته .. ومثل هذا الزوج تخونه زوجته أيضًا .. لأن وجوده مثل عدمه ..

والنهاية أن تتحول حياتنا إلى فشل فى فشل ..

فشل فى الحب .. وفشل فى الزواج .. وفشل فى الأسرة .. والسبب واحد فى كل هذه الحالات .. وهو انعدام الصدق ..

لو كنت صادقًا مع نفسك لما أنكرت على فتاتك أن تكون ضعيفة .. لأنك أنت أيضًا كنت ضعيفًا مثلها .. وقد تبادلتما أنتما الاثنان هذا الضعف ..

والضعف صفة من صفات البشرية .. وأنت أولى بأن تغفر لها ضعفها فقد كنت أنت سبب هذا الضعف .. وإنما القذارة فى أن تكذب عليك وتدعى الطهارة وهى ملوثة لتخدعك وتضحك على عقلك وتدعى أنت الحب لتضحك على عقلها .. ونكون النتيجة أن يتحول المجتمع إلى جماعة من الكذابين .

إن صاحبتك سوف تلعنك .. وسوف تلعن كل رجل تعرفه بعدك . وسوف تعذب زوجها .. وسوف تعذب أهلها ..

وأنت السبب .. لأنك أفقدتها الثقة فى نفسها .. وفى الدنيا .. وحيرتها ... وحيرت دليلها ..

ومثلك كثيرون .. ومثلها كثيرات .

وياويلنا منكم .. ومنهن .. ومن أنفسنا .

١٨

سجن بدون قضبان

ترددت كثيرًا فى الكتابة إليك خوفًا من ألاّ تفهم موقفى .. وتتهمنى بأنى دنوعة .. ولكن هأنذا أجازف وأكتب لك كل شىء ..

أنا شاب فى أوائل العقد الثالث من عمرى .. تخرجت فى الجامعة من مدة ليست طويلة .. وحالتى المالية ميسورة ومظهرى حسن .. ولكن مشكلتى أنى أحس بفراغ رهيب مخيف ، وعدم اهتمام بأى شىء فى الحياة مما يجعل أيامى ولياليَ غير محتملة .. فأنا أستيقظ من النوم حاملا على كاهلى هم وعذاب أنى سأعيش يومًا جديدًا كاملا .. ٢٤ ساعة .. ولا أتصور كيف ستمر علىّ كل هذه الساعات . فليس لدى أى شىء أهتم بأن أشغل نفسى فيه وأكون سعيدًا بانشغالى به .. وإنما على العكس أنظر إلى كل شىء نظرة ازدراء وتجاهل وعدم اهتمام .. ولا أعرف كيف أفسر هذا الشعور المؤلم الذى قلب حياتى إلى جحيم لا يطاق ودفعنى للتفكير فى الانتحار ..

لقد أحببت لأول مرة حبًا جارفًا ملأ على كيانى .. ولكن بالرغم من هذا .. وبالرغم من أنى كنت أغلى كالبركان من الداخل .. لم يكن يظهر علىّ شىء من هذا الشعور .. ولم أصارح حبيبتى بأى شىء .. وإنما كنت أقف لأحادثها بمنتهى البرود .. وكنت أعبدها .. وأعبد التراب الذى تمشى عليه .. وكان المكان الذى تذهب إليه هو عندى أحسن الأمكنة .. والساعة التى تحضر فيها أجمل الساعات .. وكنت أتمنى أن أذهب وراءها إلى أى مكان تذهب إليه .. وأجلس

إليها طوال الوقت أستمع إليها . وأتحدث معها وأنظر إليها .. وكان قلبى يدق حينما أكلمها ولو فى التليفون .. وكان يكفى أن أرى فتاة تشبهها ، حتى يهتز كيانى كله ..

وبالرغم من هذا لم أظهر لها شيئًا ..

وإذا بدا عليها أنها حزينة تحولت إلى أتعس إنسان فى الدنيا .. وأصبحت مهمومًا شاردًا وبالطبع لم ينته هذا الحب إلى شىء .. وتزوجت هى وأصبح حبى شيئًا مضحكًا ومزريًا بالنسبة لى .. فطويته فى جانب بعيد قصى من قلبى .. وانهمكت فى دراستى بالكلية لأنساها .. ومرت سنتان ..

وانتهيت من الدراسة وحصلت على الشهادة التى أرى الآن مقدار تفاهتها .. وانتهيت إلى الحالة التى شرحتها لك ..

تمر علىّ أيام .. لا أحس بأنى أرغب فى شىء .. لا أريد أن أقرأ أو أخرج أو أسمع موسيقى ، أو أمارس أى هواية من هواياتى .. إنما أظل ممددًا على سرير لا تصدر منى حركة .. ويمر الوقت بطيئًا مملاً قاتلا وأنا كالبركان الثائر من الداخل .. كلى اشمئزاز ونفور من حياتى بهذه الطريقة ..

لم أعد أهتم بأصدقائى ... ولم أعد أهتم بالأشياء الجميلة التى كانت تسعدنى فيما مضى كالموسيقى والقراءة والسينما والنادى .

وهكذا أعيش وقد عدمت كل شىء حتى الذكريات .. فذكريانى سخيفة تافهة وحاضرى فارغ ومستقبلى مظلم .

لا أظن أن لديك نصيحة أو حلا .. والحقيقة أنى لم أكتب منتظرًا أى حل .. وإنما أردت أن أريك بعض حالات الشقاء والتعاسة التى يمكن أن يعيش فيها الإنسان بالرغم من توفر الفرص والوسائل لديه ليكون سعيدًا ..

إن شخصيتك غريبة ..

إن فيك انطواء يدفعك دائمًا إلى أن تضع انفعالاتك فى قلبك ولا تنطقها ..

لقد عشت فى بروفة حب .. ولم تحاول أن تمارس هذا الحب أو تجربة .. ولم تفعل هذا على سبيل البرود أو الدلال .. ولكن فعلته جبنًا وخجلا وترددًا .. لانطوائك على نفسك وخوفك من الخروج منها .

وهكذا بدأت قصة حبك فى داخلك .. وانتهت فى داخلك دون أن يسمع بها أحد ..

وهأنتذا تسلك فى حياتك كما كانت تسلك فى حبك .. تضع انفعالاتك .. وتعلق رغباتك على حبال الملل والانتظار .. ثم لا تكتفى بعدم العمل وإنما تتجاوزه إلى عدم الاهتمام ..

إن شخصيتك تسودها البطالة والتعطل .. كل شىء فيها مضمر .. وممكن .. ولكنه غير واقع ..

شخصيتك تشبه دولة بها جهاز تشريعى وليس بها جهاز تنفيذى .. ومثل هذه الدولة تعيش فى النظريات ولا تفعل شيئًا ..

إن ما ينقصك ليس الحب .. ولكن العمل والبث والإيجابية والفعالية .

افعل شيئًا أى شىء .. وإذا لم تكن لديك الرغبة فاحمل نفسك على فعل شىء .. ومن الحركة تتولد الرغبة .. ويتولد الاهتمام ..

إن نجاتك الوحيدة فى العمل .

أما إذا أسلمت نفسك لهذه البطالة فإنك سوف تختنق يومًا ما بالطاقة التى تفور داخلك ولا تجد لها منفذًا تعمل فيه .. وسوف تنتهى إلى أسوأ النتائج ..

١٩
الاختيار

تزوجت فى سن الخامسة عشرة رجلا يكبرنى بنحو ٢٠ عامًا تحت ضغط أب عنيد وأم جاهلة كل همها الثراء والمركز والمكانة التى تليق باسم العائلة ..

حاربت هذا الزواج بكل ما أوتيت من قوة صراخ وبكاء .. ولكنى لم أفلح ..

وباعونى كلهم ..

ودخلت وأنا أرتجف بيت رجل لا أحبه .. رجل قبيح الخلقة والخلق .. بخيل .. شاذ الطباع .. شديد المعاملة .. كل كلماته أوامر .. كان لا يعود إلى بيته قبل الثانية صباحًا تفوح منه رائحة الخمر .. يترنح .. ويتكلم .. بفم معوج ..

وتمضى لحظات الفراش ثقيلة .. هو من ناحية جلف غليظ فى مغازلته .. أنانى لا يهمه إلا أن يحصل على متعته .. ثم يدير ظهره ويتركنى . وأنا من ناحيتى أعانى الخجل والاشمئزاز والإحساس بالهوان ..

وكان طوال علاقتنا .. ضعيفًا فى هذه المسألة ..

وكنت أشكو لأمى كرهى له وعزمى على النوم وحدى .. وكانت تنهرنى وتقول لى كرهك وحبك لنفسك ضعيها فى قلبك .. أما جسدك فهو ملك له ..

وسمعت كلامها .. وبدأت أترك له جسدى كحرقة بالية لا حراك فيها ولا روح .. وأنجبت أربعة أولاد .. وأنا أتعذب .. وأكتم فى نفسى .. حتى انهارت أعصابى .. وأصابنى ضغط الدم والقلب .. وبدأت تتناوبنى الأمراض .

وبدأت أبتعد عنه جسمانيًا ..

كان هذا منذ اثنى عشر عامًا ..

أصبحت لا أحتمل مجرد سماع صوته أو رؤيته وكنت حينما أراه يدق قلبى بشدة ويكاد يتوقف وتنتابنى حالات عصبية .

ومنذ أربع سنوات انقطعت عن الكلام معه .. وأصبح لى جناح وحدى فى البيت .. وله جناح وحده ..

وإلى الآن لم يطلقنى .. وهو يقول .. إنه لن يتركنى حتى أصبح غير صالحة له أو لغيره ..

ولكنى لم أعد صالحة له ولا لغيره .. منذ الآن ..

لقد أصبحت بعد عذاب ٢٥ سنة امرأة محطمة ، أولادى كبروا وأصبحوا شبانا .. وأنا ذبلت وأصبحت مريضة .

والآن أريد أن أستريح ..

أريد الخلاص منه بأى طريقة .. إنه لا يريد أن يطلقنى .

وأنا لا أستطيع أن أطلب الطلاق من المحكمة لأن مركزى ومركز أولادى ومركز العائلة لا يسمح .. لا أريد فضائح .

أفكر فى تغيير دينى لأصبح محرمة عليه .. ولكنى أخاف من الله .. كيف يكون خلاصى .. إلى تعيسة

* * *

إن العجيب فى خطابك هو صبرك هذا العمر الطويل .. هذه السنوات الخمس والعشرين حتى انتهيت إلى هذه الحالة من ضغط الدم والقلب والانهيارات العصبية والمقاطعة الجسدية . ثم فى النهاية إلى عدم تبادل الكلام ..

وأخيرًا وبعد خمس وعشرين سنة وبعد دفع كل هذه الضرائب الباهظة أحسست أن الحياة معه أصبحت لا تحتمل . إنه لابد من خلاص ..

وأى خلاص ؟!.. خلاص يتم بمعجزة .. بدون أن يطلقك . أو تطلقيه بالمحكمة حتى بعد الخمس والعشرين سنة مازلت تخافين .. وتقولين .. أولادى .. عائلتى .. مركز العائلة لا يسمح ..

ولكن أمك حينما زوجتك بالإكراه كانت تقول هذا أيضًا .. مركز العائلة لا يسمح .. اسم العائلة يستدعى .. إلخ .. إلخ .

كانت أمك أسيرة المظهر المحترم والسمعة فاختارت لك زوجًا ذا لقب وأطيان .

وتعذبت العمر كله لأنك عجزت عن البت فى مصيرك .. كان البت يحتاج إلى إسقاط هذه الاعتبارات .. وأنت مثل أمك تخافين على هذه الاعتبارات !.

واتخاذ أى قرار فى الدنيا يحتاج إلى التضحية بشىء ..

نحن نقامر بحريتنا واختيارنا فى كل لحظة . وأنت تطلبين الأمان .. وهذه نتيجة الأمان .

أنا أعرف الشىء الذى يرهقك .. إنه ليس كره زوجك .. ولا ضغط أمك .. إنه ضعفك . ضعفك أمام اللحظة الفاصلة .. لحظة اختيار المصير ..

ولكن ليس أمامك مفر .

إما الاستشهاد إلى النهاية ودفع الثمن ..

أو الثورة ودفع الثمن ..

اختارى ..

حتى سكوتك اختيارًا تدفعين ثمنه ..

٢٠

حقيقة المشكلة

أنا طبيب حديث التخرج .. ناجح فى عملى كما كنت ناجحًا فى دراستى .. حالتى المالية من عملى ومن إيراد خارجى متيسرة جدًا .. أمتلك سيارة .. وشقة خاصة .. مؤهلاتى الشخصية ممتازة .. رياضى متفوق فى أكثر من لعبة .. صحتى جيدة .. شكلى جميل .. أنيق .. جذاب .. ذكى .. محبوب من الجميع .. خفيف الروح .. بارع فى اكتساب الصداقات .. وفى استهواء القلوب ..

بدأت تجاربى مع الجنس الآخر من سن مبكرة . من الخامسة عشرة .. وكانت لى علاقات كاملة منذ تلك السن ..

أنا الآن عضو فى أحد أندية القاهرة .. وملك هذا النادى غير المتوج على قلوب الحسان .. ولكن للأسف الفتاة الوحيدة التى أحببتها هى التى لم أحظ منها بأقل اهتمام . وقلبى الآن موزع بين ثلاث فتيات ..

فتاة أعبدها ولا تحبنى ..

وفتاة أخرى تعبدنى لدرجة الجنون ومحاولة الانتحار وأنا لا احبها ..

وثالثة لا أحبها ولا تحبنى ولكننا نتمتع معًا إلى أقصى حدود المتعة ..

إنى أعيش الآن فى يأس .. وقد كفرت بالحب .. وخلت حياتى تمامًا من الجانب المضىء ..

ماذا أفعل لأكسب فتاتى التى أحبها ..

* * *

إنك فى اللحظة التى تكسب فيها هذه الفتاة التى تدعى أنك تعبدها .. سوف تضعها فى خانة .. فتاة تعبدنى ولا أحبها .. ثم تبدأ فى علاقة جديدة . إنك شاب هلاس .. كل همك أن يكون لك عرش .. وأن تكون الملك غير المتوج على قلوب الحسان ..

إن ما يعذبك من فتاتك .. ليس حبك لها .. ولكن حبك لنفسك وغرورك .. الذى حطمته هذه الفتاة لأول مرة ..

ولن يكون همك هو أن تبادلها الحب أبدًا .. وإنما سوف يكون همك هو أن ترد اعتبارك لنفسك .. وتثبت لنفسك أنك مازلت فارسًا ولهذا سوف تلفظها بعد لحظة من استسلامها وتبدأ فى البحث عن أخرى ..

إن خطابك الذى يتألف من ثلاث صفحات .. يحتوى على صفحتين كاملتين . تتغزل فيهما فى نفسك : جاذبيتك .. جمالك .. صحتك .. شقتك الخاصة .. عربتك .. حالتك المالية .. ذكائك .. مهارتك فى استهواء القلوب .. نجاحك فى عملك وفى دراستك ..

وفى الوقت الذى تقول فيه إن قلبك يتعذب وعواطفك تحترق .. تسمح لنفسك بأن تبادل امرأة أخرى المتعة بدون حب من ناحيتك ولا من ناحيتها .. ولا يفعل هذا إلا إنسان بلا قلب وبلا عاطفة .. وبلا مشاكل من هذا النوع الرقيق الذى تدعيه .

إن أحسن عقاب لك هو ما أنزلته بك هذه الفتاة .. التى كسرت شوكتك وحطمت غرورك .. وأرغمتك على احترامها وعبادتها .. وحينما تفهم كل فتيات النادى .. كيف يعاملنك ويكسرن أنفك الجميل .. سوف تصلح حالك وتتأدب . أيها الملك غير المتوج على دولة الهلس ..

٢١

التعب

أنا شاب فى الرابعة والعشرين .. تركتنى خطيبتى قبل شهر ونصف بعد حب ملتهب .. وبدون سبب .. لتتزوج من غيرى فى بلد بعيد جدًا تحملت الصدمة بمرارة .. ثم بدأت أسلك طريقًا سيئًا .

أصبحت الفتيات الرخيصات كل هوايتى أبدل الواحدة بالأخرى على قدر مامعى من نقود .. ثم تعرفت على امرأة ذات سلوك يسميه الناس بالسلوك السيئ .. علمت أنها مطلقة ومازالت على علاقة بمطلقها .. عرضت عليها الزواج فوافقت .. لم أشعر نحوها بما يسميه الناس حبًا .. ولا بأى رومانتيكية .. وهى أيضا علمتها التجارب وعلمها الخداع أنه لا يوجد شىء اسمه حب ..

أصبح الأمر بيننا أشبه بصفقة .

أنا أشعر بالحاجة إليها .. ولكنى لا أفهمها .. وأحس بأن جميع عواطفها مغلقة أمامى .. ولم أر منها سوى بعض دموع فى أول اجتماعى بها .. وهى تشعر بالحاجة إلىّ .. ولكن ليس لديها حماس .. وأشعر بها باردة خاملة بين يدى .. ولا يجد أحدنا الشجاعة الكافية ليقول للآخر .. أحبك .. أعبدك .. أنت حياتى ..كلانا يشعر أن هذا كلام فارغ ..

وأهلى يرون أن الحكاية كلها فاجعة .. ولا يوافقون .. ويهددون ويتوعدون .. وأنا حائر ..

هل أتزوج الفتاة .. أو أتركها .. وأعيش فى أحضان القلق والإسراف

والإرهاق .. ؟

وكيف أتزوج كما يتزوج الناس .. وأنا لم أعد أعرف شيئًا اسمه بنت ناس .. وحب .. وانتظار .. وخطوبة .. وشرف وكرامة وسعادة زوجية .. ؟

° ° °

إن اليأس هو المأذون الذى سوف يعقد زواجكما .. كلاكما محطم يائس غطى قلبه الصدأ وفقد البريق والنضارة .. وكلاكما يتخبط .. هى مطلقة تعاشر مطلقها وتتزوجك فى نفس الوقت . وأنت تعاشر شبح امرأة هجرتك وتخبص وتضع يدك فى يدها وأنت لا تعرفها ولا تفهمها وتطلب منها الزواج .

إن العلاقة بينكما مفقودة تمامًا .. وكل منكما يعيش فى عزلة عن الآخر .. مغلق على مأساته .. ومشكلته ..

وما يربط بينكما هو التعب .. والضجر .. والملل .. ومثل هذه العلاقة مقضى عليها بالفشل .. إنها مثل المولود الذى يولد ميتًا ..

اصرف النظر عن هذا الزواج .. واقطع علاقتك بالمرأة .. وبكل النساء .. واقض بضعة شهور فى صوم وتفكير ..حتى تستعيد شهيتك الطبيعية .. وإقبالك على الحياة .. وأشواقك القديمة ..

إن أسوأ ما يفعله الحب بعد صدمة عاطفية أن يمضى فى علاقاته .. إن مرارة الفشل تغير طعم الحياة فى فمه .. وتشوه أحكامه دون أن يدرى فتصبح كل علاقاته مريضة يسكنها الحقد والشر ..

بعد المشوار الطويل الذى يقطعه القلب .. نحتاج إلى راحة طويلة .. تمامًا كما نفعل بعد المشوار الطويل الذى نقطعه بأقدامنا .. فالعواطف كالدم واللحم ... والأنسجة تحتاج إلى وقت لتتجدد ..

٢٢

عدم الإمكان

أنا سيدة جميلة فى العشرين من عمرى .. بدأت حياتى بطفولة تعيسة .. كان أبى غنيًا ولكنه بخيل جدًا .. شرس حاد الطبع .. يثور لدرجة القسوة . فيضربنا جميعًا ضربًا مبرحًا .. والعجيب أنه كان يضرب أمى .. والأعجب أنه كان يضرب أمه .. وألفاظه جارحة قاسية لأقصى حد .. يدخل المنزل مقطب الحاجبين .. ولا يلقى كلمة تحية .. فيتزوى كل من فى البيت فى رعب ..

وكان أبى يضطهدنى أكثر من باقى إخوتى لأنى كنت دائمة الرسوب . ولم يكن يعلم أنى أرسب بسببه .. وبسبب الرعب الذى وضعه فى قلبى ..

وسافر أبى إلى بلد بعيد فى إحدى السنوات .. فبدأت أنجح فى المدرسة ،أتفوق وأطلع الأولى .. وأحببت المدرسة .. ومرت سنتان .. وأنا على تفوق ونجاحى .. ثم بلغت السادسة عشرة وبدأ الخطّاب يتقدمون لى وأبى يضغط علىّ لأتزوج .. وكنت أسمعه يقول : إن البنات نكبة على الحياة ، وإن الزواج هو الحل الوحيد للخلاص منهن .. وكان أحيانًا يشتمنى .. ومرة يضربنى .. ومرة أخرى هددنى بالقتل إذا لم أتزوج .. وأمى كانت فى هذه الأحداث بين نارين .. فهى تعطف علينا .. ولكن ما باليد حيلة .. وهكذا وجدت نفسى مجبرة على الزواج ..

وصدقنى ، لقد ألقوا بى كما يلقون بكلب فى الشارع ، ووجدت نفسى مع رجل طيب يحبنى ويعبدنى ويغار علىّ ، ولكنه بخيل وسمج لا يعرف الذوق فى

ألفاظه ولا فى معاملته : دائم النقد لكل الناس .

وبرغم أن زوجى كان أكثر عطفًا من أبى إلا أنى كنت أسعد حالا فى المدرسة .. كانت لى هوايات وأمارسها .. وكانت لى شخصية .. وكانت لى أحلام .. كنت أحلم بأن أجرب الحب .. وأذوقه .. ولكنى كنت أخاف من الحبس فى البيت والضرب والقتل ..

أما الآن فإنى أشعر أن حياتى انتهت .. لم تعد لى هوايات .. ولم أعد أتمتع بالجلوس مع صديقاتى .. ولم أعد أجد لذة فى ثرثرة زمان .. فقدت صبرى .. وفقدت آمالى .. ولم أعد أطيق شيئًا ..

الشىء الوحيد الذى أصبحت أحبه هو الخروج ، بشرط أن أكون وحدى .. أسير فى الشارع .. ترن فى أذنى الموسيقى .. ولكن زوجى لا يحب الخروج .. ويلازمنى فى كل خطوة ..

إن زوجى عبء .. عبء فظيع .. وأولادى عبء .. وبيتى عبء ..

لا تقل لى .. أحبى زوجك .. فهذا مستحيل .. لا تقل لى اشغلى نفسك بهواية .. أو دراسة ..

إنى أشعر بهبوط فى نفسى باستمرار .. وهبوط فى جسدى .. وصداع ألم .. وعجز عن كل شىء ..

لا تبخل علىّ برد سريع ، أرجوك .

أنا الأخت الصغرى لصاحبة الرسالة .. وقد أعطتنى رسالتها لأقرأها قبل إرسالها إليك .. وقالت لى إنها لا تشعر أنها رسالة مقنعة .. ولكنها لا تقوى على الكتابة أكثر من ذلك ..

والواقع أن أختى حالها أفظع بكثير مما وصفت لك .. إنها ساهمة ..

شاردة .. منهوكة القوى دائمًا كأنها خارجة لتوها من عمل مرهق .. كانت عاطفية .. ولكنها الآن تهرب من العاطفة .. ولا تطيق سماع أغنية فيها عاطفة .. إنها تريد الهروب من كل ما يمت لواقعها بصلة ..

إنى قلقة عليها كثيرًا .. وخصوصًا أن صحتها فى تدهور .. لا تنصح لها ياسيدى بالطلاق .. لأن لها أولادا صغار من زوجها . ووالدى كما وصفته لك .. لا يحب أحدًا .. ولا يطيق مجرد إنسان معه فى المنزل حتى ولو كان ابنته أو ابنه ..

وليس لديها الصبر لتكمل دراستها أو لممارسة أية هواية .. لا شىء تفعله الآن سوى الشرود .. والشرود فى لاشىء ..

أتمنى أن تساعدها ..

* * *

سيدتى ..

أنت سجينة فى بيتك .. ولكنك قد سجنتنى أنا أيضًا فى أفكارى .. وكتفت يدى .. وجعلت كل الحلول غير ممكنة .. وغير مقبولة ..

وحينما يحاط الإنسان بعدم الإمكان من كل طريق وتسد عليه المنافذ .. لا تبق له إلا بطولة واحدة .. هى بطولة الخضوع .. والاحتمال ..

وعزاؤك أننا جميعًا مثلك إلى حد ما .. أبطال قصة مفلسة فاشلة .. نهايتها الموت .. برغم كل أحلامنا وآمالنا .. كلنا نذيل على فروعنا .. ونموت عطشًا .. والماء حولنا .. والشمس فوق رءوسنا .

اكتبى قصتك على فصول طويلة .. فأسلوبك جميل .. وأنا أحب أن أقرأ شيئًا عن الصعيد .. كيف يعيش هناك الناس .. ويفكرون .. ويحلمون .. ويموتون ..

٢٣
بالمصادفة

أنا شاب فى العشرين .. فى كلية الهندسة بالإسكندرية .. مرح .. بسيط .. منطلق .. وإن كنت فى داخلى أعانى فراغًا عاطفيًا هائلا .. وليس معنى هذا أنى أعيش فى عزلة .. لا أعرف النساء ولا أقربهن .: فالحقيقة أن لى صولات وجولات فى عالم الغرام .. ولى خبرة بالنساء يحسدنى عليها الكثيرون ..

تعودت هذا الصيف أن أذهب وحدى كل مساء إلى محل عام وأجلس على مائدة لا تتغير .. أتناول عليها قدحًا من الشاى واللبن ..

وفى مساء يوم منذ شهر تقريبًا دخلت إلى المحل سيدة سارت بين الموائد واتخذت لها مكانًا .. بالمصادفة المحضة .. بجوارى .. وطلبت .. بالمصادفة أيضًا .. قدحًا من الشاى واللبن ..

سيدة لم تتجاوز الثلاثين .. كل مافيها يجبرك على أن تحترمها .. نظراتها الهادئة .. مشيتها المتزنة .. وتصرفاتها الرزينة .. ومظهرها الذى ينم على أنها فاضلة .. جميلة .. وأنيقة .

وكعادتى .. لم أهتم بها .. أو بمعنى أصح تظاهرت بأنى مشغول عنها معتقدًا أنها لابد فى انتظار شخص ما .. رجل أو امرأة .. وبعد حوالى الساعة نادت الجرسون وأعطته ثمن ما تناولت وانصرفت ..

فى المساء عند نومى لم أعلق للأمر أهمية .. بل لم أذكره كلية ..

وفى نفس الموعد فى اليوم التالى أقبلت السيدة واتخذت مكانها بجوارى

وتناولت الشاى واللبن .. ولم يحضر أحد لمقابلتها ، وبعد ساعة انصرفت ..

وتكرر حضورها يوميًا وبدأت نظرتى تفضحنى .. وبدأت السيدة تلاحظ ذلك ..

وبعد أسبوع .. وبعد أن اتخذت مكانها بجوارى ، تقدمت إليها وعرضت عليها أن نتناول الشاى على مائدة واحدة .. ولم أكن أتوقع أن توافق .. ولكنها وافقت فى الحال .. ويومها كنت أسعد مخلوق .. وتبادلنا حديثًا بسيطًا لا أثر فيه للغرام أو عبارات الإعجاب .. وانصرفنا على أن نلتقى غدًا ..

وتقابلنا .. وعرفتها .. وعرفتنى .. وتكرر لقاؤنا حول أقداح الشاى نتناول حديثًا كله بساطة ..

ثم بدأنا نتمشى معًا كل ليلة على الكورنيش .. يدها فى يدى .. نتهامس ونتحاكى .. وكنت أحيانًا ألمس خدها بخدى فيحمر وجهها فى خجل وتنظر إلى فى عتاب .

وعرفت عنها حينئذ كل شىء .. إنها متزوجة .. تعيسة فى زواجها .. فزوجها يكبرها بعشرين سنة ، بخيل ومختل العقل ، يعاملها بقسوة ويضربها ويشتمها بألفاظ مقذعة .. حكت لى هذا وهى تبكى .. وقالت إنها بالرغم من كل هذا لن تخونه .. لأن ضميرها لا يطاوعها .. أن تفعل هذه الفعلة الشنيعة .

ومن يومها وأنا لا أنام ..

طيفها وخيالها يطاردانى فى كل لحظة .. وقلبى يعذبنى .. وضميرى يؤنبنى لأنى أغريها بصداقتى على علاقة لا ترضاها ..

أحس أنى ذئب .. وأنها إنسانة طيبة وديعة .. ألقتها المصادفة بين يدى ..

ماذا أفعل .. إنى أعيش فى قلق دائم .. عذاب ..

لقد فتحت الكليات أبوابها منذ أيام وسافرت إلى الإسكندرية .. وافترقنا بعد أن تواعدنا على اللقاء ..

ولكنى أعيش فى سرحان وشرود دائم .. أفكر فيها وأتذكر كلماتها وضحكاتها ..

مانهاية هذا الحب ..؟ الزواج ..!! وكيف أتزوجها وهى متزوجة ؟

إن الشعور بالإثم يقتلنى .. ووجهها البرىء الفاضل التقى يطاردنى فى كل مكان ..

ماذا أفعل .. وأنا بين نارين .. حبى .. ودراستى .. ؟

* * *

تستطيع أن تريح نفسك من هذا الشعور القاتل بالإثم .. فلا أظن أن الأمر حدث بالمصادفة كما ظننت ..

ليست المصادفة هى التى جاءت بها على الكرسى بجوارك .. ولا المصادفة هى التى جعلتها تطلب الشاى باللبن مثلك ..

ولا المصادفة هى التى جعلتها توافق فى الحال على مشاركتك المائدة .. وتؤنسك بحديثها المهذب الرزين .. ووجهها البرىء الفاضل التقى ..

لم تكن ذئبًا محنكًا كما ظننت نفسك .. وإنما أنت فى الغالب الصيدة .. وهى الصياد ..

هذا مع احترامى لخبرتك وجولاتك وصولاتك فى عالم الغرام ..

وقصة الزوج الذى يكبرها بعشرين سنة والعقل المخبول .. والقسوة الضرب .. والألفاظ المقذعة .. هى فى الغالب حكاية لاصطياد احترامك شفقتك .. وإسباغ ثوب من الشرعية على هذه العلاقة .. حتى تنمو وتؤتى

أكلها .. وأنت طبعًا أكلها .. ياعزيزى الذئب الغلبان .

احتفظ بعواطفك لمناسبات أخرى .

وفكر فى مستقبلك ودراستك .. ولا تضيع وقتك .. فهى لا تضيع وقتها مثلك .. وأغلب الظن أنها الآن فى القاهرة تشرب الشاى واللبن مع ذئب آخر خبير فى النساء مثل سيادتك .. بالمصادفة .. طبعًا كالمعتاد ..

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٢٤

الأسلوب المناسب

منذ ثلاث سنوات وأنا أحبها وتحبنى .. ونتحادث يوميًا بالتليفون .. ونخرج معًا مرة أو مرتين كل شهر فنذهب فى نزهة بريئة إلى إحدى الضواحى ..

لم نتجاوز هذه الحدود قطّ ..

ثلاث أو أربع مرات فقط أوصلتها إلى البيت . وضغطت على يدها ضغطة خفيفة ، ومرة واحدة أمسكت بيدها وطبعت على ظهرها قبلة .. فردتنى بلطف وأدب وأفهمتنى أنها لا تحب هذا الأسلوب وأنها ليست من ذلك الصنف من البنات الذى تستهويه هذه الأمور .. وأنها إن كانت تخرج معى وتحادثنى فى التليفون فإنما تفعل هذه للمرة الأولى فى حياتها .. وعلى حساب أعصابها ..

ومن يومها لم أكرر هذه المحاولة وصدقتها .. واقتنعت ..

هى آنسة فى العشرين أو جاوزتها قليلا .. خريجة جامعة القاهرة .. تشغل فى الوقت الحالى وظيفة جامعية .. على درجة كبيرة من الجمال .. تمتاز كباقى أسرتها بالطيبة والهدوء والسمعة الحسنة .. وهى موضع احترام الجميع ..

أما أنا .. فشاب جامعى فى الخامسة والعشرين .. أشغل إحدى المهن الحرة .. عادى فى كل شىء .. عرفت قبلها كثيرات ومارست معهن كل أنواع الهوى والحب .. أعرف فى الوقت الحالى فتاتين غيرها .. أزاول معهن حماقات شبابى بقدر معقول .. وبدون ارتباط مع أيهما بشىء .. أحب صاحبتى جدًا .. وأنتوى الزواج بها هذا العام .. فما رأيك .. ؟

مارأيك فى هذا الحب الذى ظل أفلاطونيًا طيلة هذه السنوات الثلاث .. ؟

إن أصدقائى يقولون لى .. أنت عبيط .. خيبة .. مش عارف توصل .. دى عاملة ثقيلة ومؤدبة عشان تتجوزك ..

وأقرأ فى القصص .. عن القبلات .. والأحضان .. وعن الفتاة التى تحتقر صاحبها لأنه يخاطبها بأسلوب عذرى ..

هل صحيح أن كل المتمنعات كاذبات وممثلات ؟

ألا يجوز أن تكون هذه الفتاة صادقة فعلا .. وعفيفة فعلا .. وتريد فعلا أن تحتفظ بأجمل مافى الحب لما بعد الزواج ..

أجبنى بصدق أرجوك .. ولا تحاول أن تطيب خاطرى ..

* * *

واضح من كلامك وحسب قولك . أنك عرفت بنات كثيرات مارست معهن كل أفانين الهوى والحب .. وأنك حاليًا تعرف فتاتين فى وقت واحد تمارس معهن حماقات شبابك ..

ومعنى هذا .. أن الشىء الوحيد الذى رشح صاحبتك للزواج فى نظرك .. أنها رفضت أن تكون مثل الأخريات .. هذه رخصة الزواج الوحيدة فى نظرك ..

وهذا يكشف عن أزمة البنت العصرية .. إن صاحبها يحدثها عن التحرر .. والعقلية العصرية .. وحق التمتع بالحب .. إلخ .. إلخ .. ثم يغدر بها فى النهاية ولا يتزوجها إذا طاوعته فى هذا التحرر .. وينكشف لها فى النهاية عن نصاب رجعى أشد رجعية من جدها .. يطالبها بالعفة إلى آخر حدودها .. ومعنى هذا أن المشكلة بالنسبة للبنت الآن لم تعد مشكلة كذب وصدق ..

وإنما أصبحت مشكلة اختيار السلوك المناسب ..

والسلوك المناسب مع أمثالك هو أن تتصرف صاحبتك بالضبط كما تصرفت .. لأنها لو تهاونت لحظة فى أى شىء .. لضممتها إلى طابور الفتيات اللاتى تمارس معهن حماقات شبابك ..

ليست المشكلة هى مشكلة تمثيل .. أو تصرف على الطبيعة .. لأن ٩٠٪ من الرجال محتالون لا يتصرفون على الطبيعة .. وإنما يدعون حريات لا يؤمنون بها فى أعماق نفوسهم ..

هناك عملية كذب عام شامل منظم بين الرجال .. لا تجد البنت أمامه مفرًا من الاحتيال ومواجهة كل ظرف بالأسلوب الذى يناسبه ..

تزوج صاحبتك .. ولا تتساءل .. فليس لك الحق فى هذا التساؤل .. إن صاحبتك هى الوحيدة التى فهمتك .. وكشفتك ..

٢٥
كوبرى السعادة

أنا آنسة فى الستين .. عشت حياتى الطويلة المريرة كالكوبرى الممدود عبر ثلاثة أجيال .. لم أعرف الحب .. ولا الزواج ..

فى العاشرة كنت أحمل أخى الطفل وأغنى له .. وفى الثلاثين كان الطفل قد كبر وتزوج .. فحملت أطفاله .. والآن وقد كبر أطفال الأطفال .. وتزوجوا .. بدأت أستقبل على صدرى الهضيم الضامر . أبناءهم لأعبر بهم الستين الباقية من حياتى ..

أنت لا تعرف معنى أن تعيش على الشاطئ .. وتقضى فى الحرمان ستين عامًا .. وأنت عطشان .. لا يمكن أن تعرف هذا لأنك لم تجربه فأنت رجل ..

وفى صباى كانوا يقولون إن الرجال خُلقوا للشارع والمدرسة . والنساء خُلِقْنَ للمطابخ ..

وكان أبى المتوسط الحال يحلم بتربية أولاده فى الجامعة .. وكان ثمن الحلم بعد أن ماتت أمى أن أظل فى البيت لا أبرحه . أطبخ وأغسل وأمسح البلاط .. لأوفر ثمن خادمة وطاهية وغسالة .. وأعاون أبى فى تحقيق حلمه الكبير ..

كنت الثمن الذى دفعه جيلك من لحمه ودمه .. لتدخلوا الجامعة وتتعلموا .. وتقولوا للعالم .. نحن الرجال ..

وقد كنت سعيدة بهذه التضحية ..

كنت أمًّا عذراء لأجيال ثلاثة تربوا على صدرى ..

ولكنى الآن وقد تغيرت من حولى الدنيا .. أحس أنى غريبة فى عالم غريب .. عالم ملىء بالثرثرة والغرور والحب والإلحاد والثورة ..

بناتى وصبيانى الذين ربيتهم ومنحتهم شبابى وعمرى .. ينظرون إلىّ كأنهم ينظرون إلى تحفة أو أنتيكة .. ويسخرون منى لأنى لا أفهم فى الوجودية والسياسة والحب .. ويضحكون علىّ ..

لقد انتهت دولتى .. ومطبخى الصغير احتله الطاهى .. ولم يبق لى سوى البكاء فى صمت إلى جوار النافذة ..

كنت أطمع فى شىء واحد .. هو التقدير .. ولكن حتى هذا لم أحصل عليه ..

كم أنا تعسة ..!!

* * *

أيتها الأم الكبيرة ..

إن بناتك اللائى يقرأن فى الوجودية .. والسياسة والحب .. لا يفهمن شيئًا من السياسة ولا من الحب .. ولمن جديرات بأن يكن خادماتك ..

أنت الحب ياأماه .. وأنت الشرف والواجب والتضحية والفضيلة ..

لقد ارتضيت أن تكونى الضريبة على الأجيال الجديدة .. الضريبة الفادحة على رأسمالية العلم والثقافة والحرية .. التى تسلمها الرجال خالصة من يديك ..

إن كل هذه الثرثرة والمعارف هى بعض من فتات موائدك ..

فإن كنت وجدت العقوق من أبنائك .. فاغتفريه .. فهذه خلة الأنبياء أمثالك .. وكفاك إحساس المرأة التى خلقت شيئًا عظيمًا ..

إننى أنحنى احترامًا لك .. وأقبل يديك يامريم الطاهرة ..

٢٦
النضج المبكر

أنا فتاة فى السادسة عشرة .. فى المرحلة الثانوية .. محبوبة من كل من حولى .. حساسة جدًا من الناحية الدينية . فأنا مثلا أتمسك بالصلاة وبقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء . وكنت أصاب بحالات من البكاء والعصبية والرعشة بعد ليال أقضيها فى الصلاة والدعاء .. ولكن هذه النوبات قلت الآن كثيرًا .

أحب السحاب الأبيض وأبكى عند رؤيته .. وأحب القمر .. والمطر .. وأحلم بالملائكة والآخرة وأقضى الساعات الطويلة فى قراءة القرآن .. ولكنى للأسف الشديد لا أعتقد أنى مؤمنة إطلاقًا فكثيرًا ما كنت أفكر وأنا فى وسط صلاتى أنه قد لا يكون هناك إله ..

لا أعرف إن كنت أحب الناس أم لا .. ولكنى أشفق عليهم إلى حد غريب وأخاف على شعورهم لا أكثر ..

أغلب أصدقائى من شبان عائلتنا يفضون إلى بأسرارهم .. ولما كنت من البداية على استعداد للتطبع بطبعهم فقد أصبحت تصرفاتى رجولية إلى أبعد حد .. فمثلاً لا أستطيع أن أضحك دون جلجلة .. ومشيتى عسكرية .. وتفكيرى خشن فظ كتفكير الرجال .. ولا مانع عندى من اقتحام أسرار أى شاب دون خجل .. وأغلب وقتى أقضيه منطوية مع الكتب ..

بدأت مشكلتى عندما لاحظت أنى أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة

أحلام ملخصها جميعًا .. أنى لست عذراء ..

وتطورت الأحلام فأصبحت أحلم أنى عارية تمامًا أمام والدى .. وأن والدى ينظر إلى نظرة حنان غريبة .

وبدأت أتعقد من ناحية والدى .. بدأت أفكر أنى شاذة .. وأخاف من شذوذى ..

وبمرور الوقت ضاعت المشكلة تاركة وراءها شعورًا غريبًا ناحيته .. وأقول ضاعت المشكلة لتبدأ غيرها .. فقد بدأت أشعر بنفس الشعور تقريبًا ناحية أختى الصغير .. فكنت أخاف من أن ينام جانبى .. وأستيقظ أكثر الليالى فزعة مشمئزة عندما يلمسنى بيده مصادفة . وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام فى مكان آخر !

والآن .. أو بالأصدق .. منذ حوالى ثلاثة أيام تقريبًا .. انتبهت لنفسى وأنا أفحص زميلاتى فى المدرسة . وأقول تلك جميلة جدًا .. وهذه حلوة .. وهؤلاء مقبولات .. إلخ .. إلخ .

و .. وعادت مشكلتى من جديد .

هل أنا شاذة .. هل من الممكن أن أرتكب هذه القذارات ..

بالأمس كانت ستام أختى الصغيرة بجوارى .. فهربت من الفراش لأنام على الأرض .. وأمضيت الليل فى خوف ودوار وابتهال إلى الله .

أنا الآن أفكر فى الموضوع وأتساءل .. هل أنا واهمة ؟.. هل السبب كثرة انطوائى وتفكيرى فى نفسى ؟.. هل لأنى بعدت تمامًا عن جو الفتيات ؟ أم أن السبب هو شدة خوف من الخطأ .. أم أنى شاذة حقًا ؟ ولم ؟!.. ولم أفعل أى شر أو أذى لمخلوق .. هل الله يكرهنى لأنى كفرت به .. ؟

وسأحاول مساعدتك .. فأنا لا أعتبر نفسى جميلة .. وأنا خجولة وحساسة جدًا .. وجياشة العاطفة .. وأقول لك حادثة قد تساعدك ..

فقد حدث لى وأنا صغيرة جدًا أن فعلت معى فتاة كبيرة شيئًا قبيحًا .. مازلت أذكره بالرغم من صغر سنى وقتها وذلك لغرابة الأمر بالنسبة لى ..

هذه مشكلتى .. وهى مشكلة تتفاقم معى يومًا بعد يوم ..

وأشعر بأنى أكره نفسى .. وبأنى أود تعذيب نفسى .. ولا أعرف لهذه الآلام نهاية ..

أرجوك لا تحتقرنى ..

* * *

أنا لا أحتقرك .. وإنما على العكس .. أنا أشعر أنك إنسانة فاضلة وعلى درجة غير عادية من النضج والوعى بالنسبة لسنك .. فأنت أكبر من سنك بكثير .. ولديك قدرة على استبطان مشاعرك واستجلائها لا يبلغها الكثيرون ممن هم أكبر منك من الرجال أو النساء ..

ومشكلتك الحقيقية كانت فى هذا الوعى والنضج المبكر .. وفى الحساسية المفرطة التى تستقبلين بها كل حدث .. حتى إنك لتبكين لرؤية السحاب الأبيض .. وترتجفين لرؤية القمر .

ومثل هذه الحساسية أمام حادث خشن كالذى حدث لك حينما اعتدت عليك فتاة وأنت صغيرة اعتداءً فاضحًا .. مثل هذا الحادث .. كان كفيلا بأن يقلب حياتك .

أنت منذ تلك اللحظة تحاولين أن تكونى رجلا حتى لا يتكرر عليك مثل هذا الاعتداء .. فمشيتك وضحكتك المجلجلة هى ضحكة الرجل .. وبالمثل

مصادقتك للرجال والحفاظ على أسرارهم .. وبالمثل نظرتك إلى البنات زميلاتك وملاحظتك أن هذه جميلة جدًا .. وهذه حلوة .. وهذه مقبولة .. وهذه شفتاها مليتان .. إلخ .. إلخ .. هى نظرة رجل ..

وخوفك من أن تنام أختك الصغيرة فى حضنك هو خوف من أن تتكرر هذه الحادثة .. وأحلامك بأنك لست عذراء .. هو خوف نبع من تلك اللحظة المشئومة .. فأنت تخشين أن تكونى قد فقدت عذريتك من تلك اللحظة ..

وأحلام التعلق بالأب والأخ .. قد تكون معناها أن الأب والأخ هما نموذجك للرجل الذى تريدين أن تكونى على مثاله .. وقد تكون هى المرحلة الوجدانية الطبيعية التى قال عنها فرويد .. وهى المرحلة التى تتجه فيها عاطفة البنت إلى أبيها وأخيها .. وهى مرحلة عابرة .. تنطلق بعدها العاطفة حرة لتبحث عن أليفها بين الرجال الآخرين ..

أما سر العذاب الذى يطحنك فهو أن جميع هذه الحلول التى لجأ إليها عقلك الباطن هى حلول غير سليمة .. فأنت لست رجلا .. أنت امرأة .. فياضة الأنوثة جياشة العاطفة ..

والسلوك الرجولى الذى تخيله عقلك الباطن مرفأ أمان .. كان بالنسبة لك إهدارًا لطبيعتك .. وضياعًا لحقيقتك .. وهذا سر عذابك ..

وأيًا كانت المشكلة فقد هدتك نظراتك السليمة إلى معرفة السبب .. ووضعت يدك على العلة ..

ولهذا فإن شفاءك من هذه الأمراض العصبية أكيد ..

وسوف تستعيدين مرحك وحبك للحياة . فإن المعرفة هى مفتاح الشفاء النفسى ..

٢٧

دلوع

أنا شاب فى الثالثة والعشرين من عمرى تبدأ مشكلتى منذ عام ١٩٥٦ يوم حصولى على التوجيهية .. وكان حلمى فى ذلك اليوم أن ألتحق بكلية البوليس .. وأصبح ضابطًا .. ولكن الظروف خيبت أملى .. وألقى بى مكتب تنسيق الجامعات فى كلية تظرية بالاسكندرية ..

وانتقلت إلى المدينة .. واتخذت سكنًا إلى جوار الكلية .. وشاركنى فى سكنى زميل من البلد .

وفى الأسبوع الأول من إقامتنا رأيت زميلى يدخل البيت وفى يده امرأة من الطريق .

وتشاجرت معه .. وحاولت أن أطرد المرأة .. واشتد بيننا الخلاف .. ثم اتفقنا على أن يغلق بابه ويفعل ما يشاء .. على أن تكون هذه أول وآخر مرة .

وشتمته فى ذلك اليوم بأقذر الألفاظ .. قلت إنه سافل وعاهر وداعر .. وإنى برىء منه إلى يوم القيامة ..

وأغلقت بابى .. وجلست أغلى من الغيظ .. وأستغفر الله ..

ومرت ساعة ..

ثم بدأت أتسمع الأصوات والحركات فى غرفته ..

ومرت ساعة أخرى .. قمت بعدها وأنا أتصبب عرقًا .. وطرقت الباب .. ثم دخلت فى خجل لأعتذر له وأطالب بنصيبى فى الغنيمة

ومن ذلك اليوم تغيرت حياتى كلها ..

تعلمت التدخين حتى أدمنت بشراهة .. شربت الخمر وعرفت البارات الرخيصة .. دخنت المخدرات .. ذقت كل أنواع الهلس .. مع المومسات .. والخادمات ..

وكانت النتيجة طبعًا أنى رسبت بدرجة ضعيف جدًا .

ولم أخبر أسرتى حتى لا يقطعوا عنى النقود ولكن أمى عرفت وعاتبتنى .. فأجبتها ثائرًا .. إنى سوف أترك الدراسة .. وأبحث عن عمل .. وإنى لا أريد منهم مليمًا .. وكانت النتيجة أنها بكت .. وقبلت رأسى .

وتوسلت إلىَّ أن أعود إلى دراستى .. وتعهدت لى أن تدفع لى مصروفاتى .. وكل ما أطلبه .. وأقسمت ألا تخبر أبى بشىء .

وعدت إلى دراستى .. وهذه المرة أجرت شقة لوحدى . وتوسعت فى الهلس وبالطبع رسبت للمرة الثانية .. وكالعادة لم يعرف أبى ..

وفى هذا العام تركت شقتى .. وسكنت فى بنسيون تملكه امرأة إيطالية وحاولت أن أنسى فشلى ورسوبى .. بالإغراق فى الخمر .. وبالإغراق فى معاشرة الإيطالية صاحبة البنسيون التى تعدت سن الأربعين ..

والمشكلة الآن أن أبى يعتقد أنى فى السنة الثالثة .. وباقى لى على الليسانس سنة واحدة يتيمة .. وهو يعد العدة ليفرح بى ..

خطب لى بنت رجل غنى جدًا .. واشترى لى سيارة ليقدمها هدية لى على شطارتى .. وهو ينتظر يوم السعد .. يوم تخرجى ..

وأبى رجل طيب حج سبع حجات .. وأمى لا تستطيع أن تفجعه فى .. وأنا لا أستطيع أن أواجهه بالحقيقة . والحقيقة لابد ستظهر .. وأنا لا أعرف ماذا

أفعل .. أأنتحر .. أم أهرب من الدنيا كلها .. أم ماذا ؟!

• • •

ذاكر يأخى .. إن المذاكرة ليست مخيفة بالدرجة التى تفضل عليها الانتحار ..

إن أكبر خطأ ارتكبته أمك .. أنها بكت .. وقبلت رأسك .. وتوسلت إليك أن تعود إلى دراستك ..

كان يجب عليها أن تتركك تنفذ تهديدك .. وتعمل .. وتتشرد .. وتجوع على الأبواب .. وتتعلم الأدب .. وتحس بأن الحياة جد .. وتفيق من الهلس الذى أنت فيه ..

إن العلاج الوحيد للولد الدلوعة أن يحس بالمرمطة ..

أنت دلوع لدرجة أنك تلجأ إلىَّ صارخًا .. الحقنى .. يامامى .. الحقنى .. الحقيقة حاتتعرف .. الحقنى يابابى ..

لا توجد قوة فى الأرض تحميك من الحقيقة .. إن مشكلتك ليست سنواتك التى ضاعت .. ولكن سنواتك القادمة التى ستضيع حتمًا .. إذا واجهت الدنيا بهذه العقلية ..

هناك مصلحة فى أن تظهر الحقيقة .. وأن تصدم ..

أنت فى حاجة إلى صدمة .. وقسوة .. وعنف لتفيق .. وإلا فأنت مقضى عليك ..

لن تصبح رجلا إلا حينما يطردك أبوك إلى الشارع ..

٢٨

لعنة الجمال

أنا فتاة فى العشرين .. من ذلك النوع الذى تفتح فمك حين تراه فى الطريق وتتوقف مأخوذًا ..

شعر يتماوج كالذهب .. وجه أبيض وردى .. عيون زرق .. فم دقيق .. قوام باريسى ..

حيثما سرت فى الشارع .. تتبعنى الشهقات والتأوهات .. وكلمات الغزل .. وتلتف الأعناق حول نفسها حتى تكاد تنخلع من أكتافها ..

حياتى كلها كانت كلمة واحدة لاحقتنى من أبى وأمى وعائلتى وممن يعرفوننى وممن لا يعرفوننى .. إيه الحلاوة دى يابنت .. إيه الجمال ده .. إيه السحر ده ..

لا أحد حاول أن يسمعنى .. لا أحد حاول أن يفهمنى .. كلهم كانوا يتفرجون علىّ ويقلبوننى بين أيديهم كالدمية ..

لم أشعر فى أى لحظة أنه ينتظر منى شىء أو يطلب منى شىء .. أو أنى إنسانة لى عقل ولى قلب مثلما لى وجه وقوام ..

كان أبى يعنف أختى حينما ترسب ويلاحقها بالمدرسين ويغريها بالمذاكرة .. أما أنا فإنه كان يضحك حينما أرسب كأنه قد حدث شىء يتوقعه . ويربت على كتفى ويقول فى سعادة .. إنتى قورة .. مدارس إيه ؟!.. إنتى تقعدى فى البيت زى الملكة والدنيا تجرى وراكى .. والعرسان يبوسوا إيديكى ..

وحينما كنا نجتمع كلنا ونتحدث .. كان أبى يتناقش مع إخوتى ويدخل فى

معركة كلامية حامية مع كل فرد إلا أنا ، وكأنما التفكير كلفة غير طبيعية بالنسبة لى .. وحينما كنت أحاول الكلام .. كان يردنى برقة قائلاً .. عاوزه تقول إيه ياملكة ، إنتى تأمرى بس .. إنما الرغى ده للفراشين اللى زينا ..

وفى اللحظات التى كنت أنطق فيها بملاحظة ذكية .. كانت تفوت على الذى يستمع إلىّ ، لأنه كان منهمكًا فى التطلع إلى وجهى وقد نسى كل شىء ..

لم يكن أحد ينظر إلى بأكثر من أنى زينة .. مجرد زينة .. ليس لها أن تقوم بأى دور جاد .

وبدأ يداخلنى شعور بالتفاهة والهيافة فلا أحد يشركنى فى همومه .. ولا أحد يوكل إلى بسر يخشى عليه أو بعمل يحرص عليه .. وإنما أنا بمثابة لحظة التسلية بالنسبة للجميع ..

وكان طبيعيًا أن أفشل فى دراستى وأن أترك المدرسة وأبقى فى البيت .. ثم أتزوج وأنا صغيرة ..

وكان زواجًا تعيسًا .. أتعس ما فيه جمالى .. فزوجى لا يصحبنى فى خروجى ، لأن جمالى فضيحة تلفت النظر فى كل طريق .. وهو يسجننى فى البيت لأنه يغار علىّ .. وهو يشك فى سلوكى .. وهو يفقد ثقته بنفسه كلما ازداد إحساسًا بجمالى ، وبالتالى يشعر بعجزه عن أن يحكمنى فيزداد فى شكه وغيرته وقسوته .. ويزداد فى إسرافه لكى يرضينى بالملابس الباهرة والجواهر .. وأزداد أنا إحساسًا بالتفاهة وأزداد شقاء ..

حتى بطاقات الدعوة التى كانت تأتينا فى أفراح الأصدقاء كان ينظر إليها فى شك وريبة وقد خيل إليه أن صديقه يدعوه من أجل أن يرانى لا من أجل أن يراه هو ..

وكان من الطبيعى أن ينتهى مثل هذا الزواج بالفشل والطلاق وأنتهى أنا إلى حالة من اليأس لا ينفع فيها علاج ..

إن جمالى كان لعنة علىّ ..

إنى أتمنى الآن أن أفتح عينى فأجدنى قبيحة ..

إن إحساسى بجمالى أصبح مثل إحساس الغنى الذى يظن أن كل من يحبه .. يحبه من أجل ثروته لا من أجل شخصيته .. نعم .. أنا أيضًا يخيل إلى أن لا أحد أحبنى لشخصى .. وإنما جميعهم أحبوا فىّ صورتى وهذا يعذبنى .. ويشعرنى بتفاهة شخصيتى ويحرمنى من لذة احترامى لنفسى ..

لقد بدأت أعتقد أنه لا سبيل إلى السعادة .. أبدًا .. فالثروة تشقى . والجمال يشقى .. والحب يشقى .. والعقل يشقى .. أين السعادة إذن .. وأين أجدها .. ؟

* * *

السعادة ليست فى الجمال ولا فى الغنى ولا فى الحب ولا فى القوة ولا فى الصحة .. السعادة فى استخدامنا العاقل لكل هذه الأشياء ..

إن رؤية عقلك وهو عاطل .. وإحساسك بقلبك وهو عاطل ، وإدراكك لشخصيتك وقد عطلها جمالك وغباء الذين عرفوك .. هو سبب تعاستك .. لقد كنت تدركين طوال هذه السنوات أنك تعيشين بسطحك فقط .. بشكلك ومظهرك ..

كنت كالفستق الذى نسيه الناس وأكلوا القرطاس لأنه ملون جميل ..

كانت حقيقتك معطلة .. ومواهبك معطلة .. والسعادة هى أن نعيش كل لحظة .. بكل ما فينا ..

ولكنى لا أجد مايدعو إلى اليأس .. فما زلت فى العشرين .. فى بداية الطريق .. وحياتك مازالت حافلة بالفرص .. ويمكنك تصحيح مافات .

٢٩

جناية المهنة

منذ صغرى وأنا أحلم بأن أكون شيئًا مهمًا فى الدنيا .. مخترعًا .. أو فنانًا .. أو زعيمًا .

وفى مراهقتى أحببت جارتى التى كنت أراها واقفة فى النافذة .. وكنا نقف كلانا بالساعات فى النافذة ننظر إلى بعض ولا نتكلم ..

وأرسلت لها أكثر من مائة خطاب كلها شعر .. وكنت أبكى فى فراشى كل ليلة ..

ورسبت ثلاث سنوات بسببها .. ومع هذا لم يحدث بيننا شىء .. لم تتكلم .. لم نخرج إلى أى مكان ..

وحينما علمت بنبأ خطوبتها وزواجها .. مرضت ولازمت الفراش شهرا كاملا .

وحينما قمت من فراشى حاولت أن أغرق همومى فى هواية الموسيقى ، ودخلت معهد الموسيقى الشرقية لأتعلم الكمان فى أوقات فراغى .. ولكنى توقفت فى منتصف الطريق وأصابنى الملل من دراسة النوتة والسولفيج والمقامات .. واكتفيت بالتردد على المعهد كمستمع ومتفرج .

وفرغت من دراستى الجامعية .. وتوظفت .. وزوجنى والدى من بنت عمى ..

ولا أستطيع أن أقول إنى أحب زوجتى .. ولا أستطيع أن أقول إنى

أكرهها .. ولكنى دائمًا أبحث عن سبب للنكد .. أنفجر مرة من الغيرة على سبب تافه .. وأصر مرة أخرى على مطالب بعينها لمجرد الإصرار ولمجرد التحكم .. وأتعلل مرة ثالثة بهفوة بسيطة فأخاصمها وأعتزل وحدى فى غرفتى حزينًا تعيسًا .. وأحيانًا أبكى وحدى فى موجة هذه التعاسة الوهمية ..

وأنا أعمل الآن محاسبًا فى السكة الحديد .. وأعيش نصف يومى فى الأرقام والحسابات والدفاتر .. وقد بدأت هذه الحياة الجافة تؤثر فى أعصابى .. وبدأ الجفاف يتسرب من الدفاتر إلى أيامى كلها .. وجفت عواطفى .. وتحولت الدنيا فى نظرى إلى محاسبات وتبادل منافع ؛ وماتت أحلامى القديمة .. وماتت أشعارى ..

وأنا أتساءل أحيانًا فى ألم : أيمكن أن تجنى المهنة على صاحبها بهذه الدرجة ؟..

لماذا أنا تعيس إلى هذا الحد .. ماذا أفعل ؟!..

° ° °

تساؤلك فى الحقيقة مضحك .. ومعناه أن الجزار يمكن أن ينظر إلى الدنيا على أنها جزارة .. وينسى ويقطع ورك زوجته ويعمل منه كستليته ويقول .. أنا تعيس .. ماذا أفعل أيمكن أن تجنى على مهنتى إلى هذا الحد .

والمهنة فى الواقع لا تخنق العاطفة .. وشعراء المهجر وهم أرق الشعراء عاطفة كانوا كلهم تجار ..

ومشكلتك الحقيقية ليست مهنتك ولا زوجتك .. ولا حبك ..

مشكلتك هى أحلامك ..

كان حلمك منذ البداية أن تكون شيئًا .. أن تكون مخترعًا أو فنانًا أو زعيمًا .. ولم تستطع أن تحقق هذا الحلم فاكتفيت بأن تخترعه فى خيالك ..

قصة حبك كانت وهمًا .. اخترعته أنت من طرف واحد .. واخترعت كل ما فيه من أحزان ونكبات .

وقصة الموسيقى بدأتها بحماس الفنان وأنهيتها بخيال المتفرج الذى يكتفى بالوقوف فى قاعة البروفات يحلم ..

وكان لابد فى النهاية من أن تخترع لك زعامة وهمية لتحقق بعض أحلامك فبدأت تفتعل الأزمات فى بيتك لتثير الشغب .. ولتصدر الأوامر .. وتحكم .. وتتحكم ..

وفى النهاية اخترعت عذرًا تسند إليه كل فشلك .. وهو مهنتك الجافة التى سلبتك عاطفتك .. وقتلت أشعارك العظيمة فى مهدها ..

وقصتك تذكرنى ببطل فى إحدى مسرحيات أبسن كان يحلم بأن يكون صيادًا خطيرًا يصيد السباع فى الغابة ، وانتهى فى النهاية إلى رجل سكير يربى البط فى غرفة ، ثم يدخل ليصطاده بالبندقية .

والحل الوحيد .. هو أن تواجه حياتك وتفتح عينك على واقعك ..

٣٠
حكاية الكرامة

أنا طالب بكلية الآداب .. عمرى تسعة عشر عامًا .. تعرفت بفتاة جميلة جدًا وظريفة ، وصوتها أعذب من صوت شادية ..

من النظرة الأولى قلت لها .. أحبك .. وبينى وبينك قلت هذا لكى أبرز قبلاتى .. ولكنها صدمتنى بقولها .. أنت كذاب وكلامك فاضى .. هو الحب كده لعبة فى بقك تقوله لكل واحدة .. وفى هذه اللحظة أحسست أنى مجرم وأنى أحتال لأوقع بفتاة بريئة فى شباكى .. وشعرت بفداحة ذنبى .. ومنذ تلك اللحظة بدأت أحبها بحق وحقيق .. وبكل جوارحى ..

ولا أنكر أنه كانت لى علاقات قبلها .. ولكن كلها علاقات على الماشى .. حب بالكلام فقط .. من أجل الوصول إلى لذات مؤقتة .. وأحيانًا كنت أنتفع من هذه العلاقات .. كانت إحدى جاراتى تبعث لى بأشهى مايحضره أبوها من فاكهة .. وأطيب ما تطهيه أمها من طعام .. وكنا نقضى معًا أوقاتًا سعيدة .. ثم أنسى كل شىء بمجرد أن أفارقها ..

أما هذه الفتاة فقد أحببتها جدًا .. وانشغلت بها ليلى ونهارى .. وغنت لى أغانى الحب والهيام .. مكسوفة .. لشادية .. علشانك أنت أنكوى بالنار وألقح جتتى .. ليلى مراد .. أول لقانا كان هنا .. باحلم بيك .. أغانى الحب كلها .. ووعدتها بالجد والمذاكرة حتى أنجح وتتزوج .. وصرت أسهر حتى الثالثة صباحًا يوميًا للمذاكرة .. وفجأة انقطعت عن مقابلتى .. ومرت شهور وأنا على نار ..

وأرسلت إليها زميلة لى فى الكلية ومعها خطاب منى .

وعادت الزميلة لتقول إنها ستتزوج .. أبوها مصمم على أن يزوجها من يوزباشى .. وفى يومها حاولت الانتحار بابتلاع زجاجة إسبرين .. ولكنهم أنقذونى .. وزارتنى فى المستشفى .. وطيبت خاطرى .. وقالت لى إنى أخطئ كثيرًا بهذه التصرفات .. ونصحتنى بأن أكون عاقلا .. فكل ما بيننا لا يزيد على صداقة .. وليس هناك داع لهذا الجنون .

وحينما خرجت من المستشفى تأكدت أنها تحب هذا اليوزباشى .. وتقابله كل يوم .. وتريده زوجًا لها .. ولا دخل لوالدها فى المسألة ..

وشعرت بأنى أنهار .. وأتحطم ، وأفقد ثقتى بنفسى وأفقد كرامتى .

مزقت صورها لأستريح .. وأحرقت المنديل الذى أهدته لى وعليه طبع شفتيها .. ولكنى لم أستطع نسيانها ..

وفقدت مرحى وبهجتى .. وفقدت القدرة على المذاكرة .. وعلى النوم وصرت أسرح كثيرًا ..

كانوا يسمونى مهرج الكلية .. ولكنى الآن أسير كأنى أسير فى جنازة ..

هذه الفتاة طعنتنى فى كرامتى ... وشخصيتى ..

أفكر أحيانًا فى أن أضربها علقة ساخنة .. وأضرب اليوزباشى معها وأرسل إلى والدها الخطابات التى أحفظها عندى بخطها .. ثم أعود فأجبن لأنى أحبها .

حالتى النفسية قلقة .. وأخشى الرسوب هذا العام ..

أحيانًا أشعر برعدة وقشعريرة وأنا فى فراشى .. من فرط الأرق .. والتعب .. والعذاب النفسى ..

سيدى .. ماذا تسمى مثل تلك الفتاة .. ؟

الفتاة التى تعطى صورها لشاب وتغنى له أغانى الحب والهيام وتخرج معه .. ثم تجىء فى النهاية وتقول له .. هذه كانت صداقة . وتتركه وتحب رجلاً آخر وتتزوجه ..

ماذا تسمى هذا ؟!..

° ° °

وماذا تسمى أنت ما يقوله ولد وغد يغازل جارته ويقول لها أحبك ويأكل الفاكهة التى يشتريها أبوها .. ويلهف الأطعمة التى تطهيها أمها .. ثم يذهب بكل بجاحة إلى فتاة أخرى ليقول لها أحبك . تروجينى ..

أنت ولد عبيط وقد أخذت حقك من الأدب على يد صاحبتك ..

وأنت عبيط لأنك تجعل كرامتك وثقتك بنفسك فى مستوى لعب البنات .. كلما خاصمتك البنت التى تحبها فقدت كرامتك وعزتك وقعدت تعيط .. وترتعش فى السرير .

وإذا كنت ناوى تفقد كرامتك مع كل أغنية من أغانى شادية .. يبقى مش حاتخلص ..

كرامتك حاتستحمل إيه .. والا إيه يابنى .. على مهلك شوية ...

٣١

الغولة

تزوجت فى سن مبكرة حينما بدأت أقتحم ميدان العمل .. كان هدفى الاستقرار والاستقامة .

تزوجت موظفة .. وفى بحر أسبوع دخلنا .. ولم تكن عندى فكرة عنها ..

ومنذ هذا اليوم وأنا أتعس إنسان فى الدنيا . انهارت آمالى .. لم أكن أتصور أن أتزوج امرأة بهذه الصفات .. امرأة لا هم لها إلا المشاجرة والسباب بألفاظ فاضحة .. إذا لم تتشاجر معى تشاجرت مع أولادها أو الخدم أو السكان أو أمها أو إخوتها ..

البيت الذى أثثته بأفخر الرياش حوله إلى اصطبل ينام فيه الذباب ..

عشت معها أكثر من عشر سنوات كانت حياتى معها عبارة عن سباب بألفاظ تجرح العفة .. ومشاجرات .. ومحاضر فى أقسام .. وتحقيقات فى النيابات .. وقضايا فى المحاكم .

حاولت إدخالى السجن بعد سنة من زواجى منها .. ذهبت إلى البوليس وادعت أنى سلبتها مجوهراتها .. وحررت محضرًا بهذا .. ثم أفرجت عنى النيابة بعد مبيت ليلة فى السجن .. لا يوجد أحد يطيقها ..

أهلها تبرءوا منها ولم يحاول أحد منهم ان يزورها خوفًا من لسانها ، والموظفون الذين يعملون معها يتحاشونها لسفاهتها .

ومع هذا عشت معها وصبرت على قرفها .. لأنها .. وإنصافًا للحقيقة .

برغم كل عيوبها .. امرأة شريفة ليست من ذلك النوع الخليع المتبرج من نساء هذه الأيام .. ليست هى الزوجة التى يعيش معها الزوج وعيناه فى وسط رأسه ..

كنت دائمًا وبرغم شراستها .. أعيش فى نعمة الاطمئنان على أن عرضى مصون .. ولن يطوله أحد ..

لم يوجد الرجل الذى استطاع أن ينظر إليها نظرة .. كده .. أوكده .

وأنت تعلم ماذا تعنى هذه الراحة بالنسبة للزوج . وخصوصًا فى هذه الأيام اللى يعلم بها ربنا .. هذه الأيام التى تخرج فيها الزوجات إلى الخياطة والكوافير وطبيب الأسنان .. والاسم مشاوير .. وهاتك يادواره ومسخرة فى شقق الرجالة العزاب .. والزوج الغلبان قاعد فى البيت بقرنين .. نهايته .. كان من الطبيعى أن أحتملها بكل قرفها .. وطبعها الحاد المشاكس وقذارتها فى سبيل راحة بالى ..

حتى جاء يوم ومرضت مرضًا خطيرًا

ونسيت كل ما سببته لى من آلام .. وفعلت المستحيل من أجل إنقاذها لتعيش لأولادها ..

ولم أبخل عليها بالمال ولا بالوقت ولا بالراحة ولا بالرعاية .

كنت أجوب القاهرة باحثًا عن الأدوية التى تلزمها . وكنت أحيانًا أسافر لأبحث لها عن دواء نادر .. حتى شفيت ..

ولكن طبعها ازداد حدة وعصبية .. وأصبحت تثور لأتفه الأسباب وتطلب منى أن أطلقها .. فأطيب خاطرها وينتهى كل شىء . ثم تعود الثورة لسبب تافه آخر ..

وآخر مرة عدت إلى البيت متأخرًا بالليل فوجدت الباب مغلقًا من

الداخل .. ورفضت أن تفتح لى .. وألقت على موشحًا من النافذة ..

وأنا الآن أفكر فى الطلاق .. ولكنى فى نفس الوقت أشعر بالحيرة واليأس ..

كيف أعيش وحدى بعد الطلاق .. ماذا أفعل .. هل أتزوج مرة ثانية .. وكيف أضع عرضى وسمعتى بين يدى واحدة من بنات الشارع اللاتى يسرن كالليلياتشو مدهونات بوية .. بنات اليوم .. إياهم .. وأبقى بالاسم « زوج » وأنا رايح جاى بقرنين .. على رأسى ..

أنا حائر .. ديرتى ..

* * *

إن زوجتك عندها من العيوب ما يكفى لتطليق عشر زوجات من أزواجهن ..

ولكن المشكلة الحقيقية هى مشكلتك أنت ..

أنت تشك فى البشرية كلها .. وتسىء الظن بدرجة يستحيل معها أن تطمئن إلا إذا تزوجت غولة ..

وهذا هو الذى حدث بالضبط .. لقد تزوجت غولة .. وكانت شراستها ووحشيتها بردًا وسلامًا على قلبك .. كانت بركات وحسنات بالنسبة لك .. ومسكنات ومهدئات لداء الشك الذى يأكل عقلك ..

وأنت تخطئ جدًا حينما تتصور أن الخيانة الزوجية شائعة بهذه الدرجة .

تخلص من عقدتك وتزوج .. وسيبك من حكاية القرون دى ..

أما إذا لم تستطع الخلاص من مشكلتك . فلا يوجد حل .. استمر فى معاشرة الغولة .. أو تزوج غولة أخرى ..

٣٢

ميلاد صناعى

أنا فى الأربعين .. أعمل بالصحافة المصرية .. متزوج وعندى عشرة أولاد .. أحب زوجتى وأتفانى فى تربية أولادى .. مستقيم .. هوايتى الوحيدة فى دنياى هى إنجاب الأطفال ..

تزوجت قبل زوجتى الحالية بفتاة ولم يعمر زواجنا أكثر من عام لعدم الوفاق بينى وبين عائلتها .. فطلقتها ..

وتزوجت هى من بعدى برجل آخر وأنجبت منه تسعة أطفال فى خلال ١٤ عامًا . كنت سبقتها أنا بالأطفال من زوجتى الحالية ..

والتقينا بعد هذه الأعوام الطويلة ..

جمعتنا الظروف مصادفة منذ عامين فى مكان .. فأخذنا نتحدث ونحكى .. روت لى ما حدث لها .. ورويت لها ما حدث لى .. وتذكرنا أيام زمان حينما كنا زوجين .. وكيف كنا نختلف لأتفه الأسباب ونتعارك .. وضحكت ونظرت إلىّ فى طيبة وحنان .. وقالت لى :

– هل تعرف يافلان .. أنى كنت أحبك .. كنت أحبك جدًا .. ولكنى كنت عبيطة .. ولم أعرف كيف أحتفظ بك .

واعترفت لها بدورى .. كيف كنت أحبها .. ولكن كبريائى كرجل أفسدت على هذا الحب .. وحولت حياتى إلى مشاغبات معها ومع عائلتها .. انتهت بالطلاق ..

وحكيت لها كيف بكيت بعد الطلاق ..

وتندت عيناها بالدموع وأنا أحكى لها قصتى ..

وعشنا مع بعض ساعة جميلة من الزمن .. وتواعدنا على أن نلتقى مرة أخرى ..

والتقينا مرة ثانية وثالثة .. ونشأت بيننا صداقة عميقة ما لبثت أن تسللت إلى قلوبنا وانقلبت حبًا جارفًا .

أيقظت عواطفى وكأنى لم أر النساء طول عمرى ..

وكنا كلانا ندرك العواقب فحرصنا على ألا يشعر بنا أحد ..

لى قريبة زوجها يعمل بإحدى الدول العربية .. أخبرتها بكل شىء .. فقالت لى إن شقتى تحت أمرك فى أى وقت .. فعلا التقيت بها وذهبنا إلى قريبتى فرحبت بنا وأعطتنا الحرية التامة ..

وأصبح ترددنا على هذه القريبة شيئًا عاديًا .. ومواعيد منتظمة نرسمها معًا وبحرص شديد ..

زادت مقابلاتنا .. وبرغم كثرة هذه المقابلات .. فإنى أقسم لك أننا لم نفعل شيئًا ..

كنا نقضى الوقت فى الحديث .. ونتعانق .. ونتبادل القبل .. ولا شىء أكثر من هذا .

ومع هذا فقد بدأت أحس بعذاب ضميرى .. أشعر أنها تسرق هذا الوقت الذى نقضيه فى الحب من أولادها ومن بيتها ..

قررت أن أضغط على نفسى وأبتعد عنها .. وكتبت لها أقول : إننا غافلان نخوض فى حب يملكه غيرنا .. حب مسروق .. حب بلا هدف .. وبلا نهاية ..

عودى إلى زوجك .. وليجمع الله بينكما فى الخير .. وتذكرينى .. فهذا يكفينى .. وسوف أذكرك طول عمرى ..

وبرغم بعدى عنها .. فأنا أعيش فى عذاب .. وأتخيلها معى فى كل لحظة .. وأفكر فى مواصلة ماكنا عليه .. ثم أعود فأتردد ..

والله وحده يعلم ما يكنه قلبى من الحب ..

قل لى بربك ماذا أفعل ؟..

• • •

هذا حب غريب فى نشأته وظروفه ..

وأعتقد أنكما صنعتما هذا الحب صناعة ..

لقاؤكما بعد ١٤ عامًا بعد أن أصبح كل منكما ربًا لعشرة عيال يجرجر وراءه حياة مملة متعبة ليست فيها شاعرية ولا أحلام .. هذا اللقاء وهذه الحياة الجافة المملة هى التى دفعتكما إلى صناعة لعبة تلهوان بها .. لعبة اسمها الحب .. تنعشان بها ما بقى من أيامكما ..

ميلاد هذا الحب ميلاد صناعى .. وليس ميلادًا طبيعيًا ..

وقد دخلتما فيه كما تدخلان سينما .

ونشأت المشكلة من التعود .

وأعتقد أنه قد جاء الوقت لتفيقا أنتما الاثنان على هذا الوهم الذى تعيشان فيه وتعودا إلى الواقع ..

٣٣

ملاك أزرق

أنا شاب خجول .. وربما يكون هذا عيبًا كبيرًا .. ولكنى لا أستطيع أن أتلافاه .. فقد تطبعت به ما يقرب من عشرين عامًا عشتها فى كنف أسرة أحاطت نفسها بسياج من التقاليد القديمة وجعلتها دستورًا لها .

أعمل فى إحدى الشركات بالإسكندرية .. وهى زميلة لى بالعمل ، توطدت بيننا صلة الزمالة إلى أن تدرجت من ناحيتى إلى حب جارف ملأ كل قلبى ..

وحاولت أن أصارحها بحبى .. ولكنى كنت أعجز عن النطق عندما أرى عينيها أو أسمع صوتها .. فكتمت حبى فى قلبى وانتظرت الفرصة المناسبة .

وكان معى فى العمل زميل آخر .. رجل فى الثلاثين متزوج وله ولدان وزوجته تعمل معنا فى الشركة .. وتوطدت صلتى بهما وخصوصًا لأنى سكنت بجوارهما .. وأصبحت لا أفارقهما من الصباح إلى المساء .

وخطر لى أن أشرح لصديقى ما أنا فيه ربما يكون عنده حل .. وأفهمته شعورى وطلبت منه المساعدة .. فوعدنى أن يساعدنى بشرط ألا أستغل حبى لأتسلى بالبنت .. وبشرط أن أتزوجها .. فأقسمت له أنى لا أهدف من هذه العلاقة سوى الزواج .. لست بالرجل الذى يلهو بعواطف البنات البريئات ..

وبالفعل ساعدنى . فخرجنا معًا لأول مرة أنا وهو وزوجته وفتاتى .. ذهبنا إلى السينما وإلى منزله مرات كثيرة .. وفتحت زوجته قلبها لفتاتى واعتبرتها أختًا ..

لدرجة أنها كانت تنام فى بعض الأحيان بجوارها وإلى جانبها زوجها على نفس السرير .. وكثيرًا ماتركتهما وذهبت لإسكات الطفل ..

كانت إنسانة ذات قلب طيب رقيق .. وكانت تثق فى زوجها ثقة عمياء .. فقد تزوجت به عن حب صادق متبادل بين الطرفين ..

وتعددت مقابلاتنا .. وكنا فى كل مرة نقترب من بعض أكثر ، وكنت دائمًا مع صاحبتى فى منتهى الأدب بالرغم من محاولتها إثارتى لأقبلها أكثر من مرة .. ولكنى كنت أجبن فى اللحظة التى تقرب شفتيها منى .

وكنت أخشى أن أدنس حبى ..

وكان دائمًا يدهشنى منها أنها كثيرة المزار مع صديق .. حتى أمام زوجته .. هزار مشين فى نظرى .. وليس صديق وحده .. وإنما كل الزملاء فى المكتب بدرجة جعلتنى أنفر منها .. وأعاتبها .. وأنصحها .. وبدون فائدة ..

وتصورت أنها كانت تقصد من هذا إثارة غيرتى .. أو أن هذا المزار هو الأسلوب الأسبور للحياة ..

وفى يوم شاءت الظروف أن نتأخر أنا وهى وصديق وزوجته فى الشركة بسبب كثرة العمل .. يومها تحدثت معها حديثًا حلوًا .. وصارحتها بحبى وكانت لحظات من أجمل لحظات حياتى ..

ثم حدث أن خرج صاحبى .. وغاب بعض الوقت وطلبها .. فذهبت إلى مكتبه وغابت .. فذهبت حاملا بعض الأوراق .. وفتحت باب المكتب لأفاجأ برؤيتها بين ذراعيه غائبة فى قبلة طويلة ..

وكانت صدمة عنيفة أفقدتنى رشدى فجريت إلى مكتبى وارتميت عليه وأخذت أبكى ..

ودخل صديق .. وحاول أن يعتذر .. ثم جاءت هى بوجه زالت منه كل معانى الخجل .. جاءت وكأن شيئًا لم يحدث .. ولكنى طردتها بقسوة ..

كان من الواضح أنهما كانا يتخذاننى ستارًا لإخفاء علاقتهما الفاضحة عن أعين الزوجة .. وأنى كنت مغفلا طول الوقت .

وكرهت نفسى . وكرهت حياتى ..

ومرت أيام ذقت فيها أقسى ألوان العذاب .. وفكرت فى تقديم استقالتى من الشركة لأبعد عن هذا الجو الفاضح .. ولكنى فقدت القدرة على اتخاذ أى قرار .. لقد ذهبت ضحيتها ..

أنقذنى ..

° ° °

أنت لم تذهب ضحيتها .. لقد ذهبت ضحية خيالك وأفكارك ..

أنت المذنب من البداية ..

إن صاحبتك لم تحاول أن تبدو فى أى وقت على غير حقيقتها .. لم تحاول أن تخدعك ..

لقد أظهرتك على حقيقتها على الدوام فى حالة هزار مشين مع كل موظفى المكتب .. وهى تنام مع صاحبك وزوجته على فراش واحد .. وهى تحاول أن تحرك شهيتك إلى تقبيلها .. وأنت تخشى أن تدنس حبك .. ياسلام ..

وأنت فى حالة خيال مستمر .. أنت مصر على أن تلبسها دورًا غير دورها .. أنت مصر على أن تعاملها كملاك .. تحبها كملاك .. ملاك إيه يابنى .. دى ملاك أزرق ..

والآخر تقول لى صدمة .. صدمة إيه ؟.. فين الصدمة دى .. ده نهاية طبيعية جدًا وظاهرة منطقية ومتوقعة .. واضح أن المكتب كله بيبوسها .. مش صاحبك بس ..

فين الصدمة هنا ..

أنت أصلك مخبوط فى عقلك ..

أنت المذنب .. لقد كنت طول الوقت تضطهدها وتطالبها بصفات ليست فيها .. إنها مخطئة فى حق نفسها صحيح .. ولكنها بريئة من دمك ..

امسح دموعك ، وقوم روح شغلك .. وتانى مرة ماتحاولش تفرض خيالك على الناس ..

٣٤

البكاء لن ينفع

فى ١٩ يونيو ١٩٥٨ كنت قد انتهيت من امتحانى فى الجامعة .. وكنت أشحن عفشى فى عربة العفش التقليدى لكل طالب .. سرير ومكتب وكرسى ودولاب صغير .. وفى جيبى مفتاح أعطاه لى أحد أصدقائى لأقيم بشقته طيلة العطلة الصيفية ..

ودخلت البيت ليلا حتى لا يرانى الجيران مع عفشى الحقير . وكان من عادتى أن أقوم بكل لوازمى البيتية بالليل .. أغسل وأكنس وأمسح وأنظف الأطباق بالليل .. وفى النهار أقوم بالطبخ ..

وفى إحدى الليالى وكنت راجعًا حوالى الثانية عشرة سمعت صوت بكاء ونشيج فى الشقة بجوارنا .. ثم فتح الباب وخرجت منه سيدة ..تجاوزت الثلاثين من عمرها ، ممتلئة الجسم قليلا ، طويلة بيضاء متوسطة الجمال مثيرة الأنوثة (عرفت بعد ذلك أنها مطلقة منذ أكثر من ثلاث سنوات) ..ونظرت إلىّ فى استنجاد وانفجرت تبكى .. فقلت لها فى خجل وخوف .. مالك .. فقالت والدتى خرجت من الصبح وماجتش لدلوقت .. وهى واحدة ست كبيرة .. وخايفة يكون جرى لها حاجة .. فاقترحت عليها أن تتصل بأقاربها علها تكون هناك .. فأعجبتها الفكرة وأبديت استعدادى لمصاحبتها .. ورحنا نلف على بيوت الأقارب واحدًا بعد آخر حتى وجدناها بخير .. ورجعنا فى وقت متأخر فى سيارة أجرة ..

وفى اليوم التالى جاءت أمها وبقية العائلة تشكرنى .. فتعرفت عليهم وتبادلنا الشاى فى طهارة وحسن نية .. ولم أشعر أكثر من أنهم جيران طيبون ..

وبعد شهرين ذهبت فى رحلة إلى معسكر صيفى فى الإسكندرية وغبت عشرين يومًا .. ثم رجعت فقابلتنى السيدة فى حرارة ودخلت خلفى فى الشقة وهى تسألنى عن الرحلة وعن الإسكندرية فى تلهف وخجل .. وفى عينيها بريق غريب وهى ترتعد .. وانتهى المشهد بأن خطفت منى قبلة وجرت بعدها إلى شقتها ..

وتعاقبت الأيام والشهور وتطورت القبلة الخاطفة إلى قبلة طويلة .. ثم إلى عناق أطول ثم إلى المصير المحتوم الذى تؤدى إليه خلوة امرأة مطلقة وشاب فى العشرين رياضى ومكتمل الجسم ..

وتكررت المسرحية لمدة أكثر من سنة وعرف الجيران وعرف أهلها بعلاقاتنا ..

وسافرت فى العطلة الصيفية لعام ٥٨ – ٥٩ وكنت أتلقى منها رسائل ملتهبة أرد عليها برقى وتعقل ..

وعدت من البلد لتقابلنى بحب أكثر ولهفة أكثر ولتحكى لى ما حدث مع أهلها .. وكيف أنهم عرضوا عليها الزواج من رجل غنى .. وكيف رفضت وأصرت على الرفض .. وبكت واشتكت وتشاجرت مع أهلها وهجرتهم وهجروها .. وعرضت على الزواج .. كانت مفاجأة بالنسبة لى .. ارتبكت .. ثم رفضت بحجة أنى فقير .. وبأنى مازلت طالبًا لم أكمل تعليمى .. وصغير السن .. أصغر منها بعشر سنوات .. فقالت وماله .. عندى ثروة تكفينى وتكفيك .. وسأضع كل مالى بين يديك .. وأساعدك فى تعليمك وأخدمك

أكثر من خدامة .. وقلت لها .. إن هناك أهلى .. وهم لا يوافقون على زواجى .. فقالت لا يهم أى شىء مادمت أحبك وتحبنى .. ولكنى رفضت بشدة .. وانتهى الموضوع ليتجدد بعد ذلك كل يوم ومعه بكاء وصراخ .. وقبلات على يدى ورجلى والأرض التى أمشى عليها .. وأحبك .. وأعبدك .. ماقدرش أعيش من غيرك ..

وفى إحدى الليالى طرق الباب بعنف وفتحت لأراها أمامى متورمة العينين من البكاء .. وارتمت على صدرى تصرخ وتولول .. بأن أهلها جلبوا لها عريسًا آخر وهم يضغطون عليها لتتزوج منه . وهى لا تريد لأنها لا تحبه ولأنه أكبر منها بعشر سنوات .. وكنت رقيقًا معها هذه المرة ولم أشأ أن أقول لها إنها هى الأخرى أكبر منى بعشر سنوات ..

وراحت تقبلنى وتقول لى أنقذنى .. تزوجنى ولو ليوم واحد .. لأسكت أهلى وأريهم العقد فيبعدوا عنى .. فوافقتها لا أدرى كيف .. ربما كانت طيبة منى .. ذهبنا إلى محام تعرفه .. وكتبنا العقد ..

وكان عقدًا عرفيًا نظرًا لاختلاف دياناتنا فهى مسيحية وأنا مسلم .. ورجعنا إلى البيت ..

واستمرت علاقاتنا كما هى .. نلتقى بالليل فقط .. وأنا فى شقتى وهى فى شقتها ..

وكنت محافظًا على مبدئى فلم أحاول أن أستغل حبها وكرمها وغناها .. حتى السينما كنت أرفض أن تدفعها .. وأتظاهر بالمرض حينما تنفد نقودى وكانت هى تغار على حتى من خادمتها التى لم تتجاوز العاشرة ..

واليوم وقد أكملت تعليمى وأخذت الشهادة وأصبحت أتطلع للمستقبل

ولبناء حياتى .. حاولت أن أفاتحها فى الموضوع لإنهائه ولكنها تشبثت وبكت واشتكت ..

لى عندها خطابات وصور .. والعقد العرفى إياه . وهى متشبثة بهذه الأوراق كما أنها متشبثة بحبى وتهددنى بأنها ستنتحر وستكتب أنى سبب انتحارها إذا طلقتها .

وأنا لا أريد أن أكون مجرمًا .. ولا أريد أن أكون بقايا حيوان .. ولا أريد أن أثقل ضميرى بأعباء لا يطيقها ..

ولا أريد أن أكون فى نفس الوقت رجلا عبيطًا تضحك عليه امرأة .. ولهذا أشركك فى مشكلتى وأطلب رأيك ..

* * *

إنك لم تترك لى رأيًا فى الواقع .. فإن سياق خطابك يشير إلى حقيقة واحدة باستمرار .. أنك لم تحبها فى أى يوم من الأيام . هى التى اقتحمت شقتك وخطفت منك قبلة .. وهى التى كتبت إليك رسائل ملتهبة .. وهى التى عرضت عليك الزواج وهى التى قبلت قدميك لتحصل على عقد زواج ولو لمدة يوم .. هى .. هى .. دائمًا وأنت ساكت تعطيها فلك لتقبله .. وترد على خطاباتها برفق .. وتعقد عليها عرفيًا من باب الشفقة ..

واضح جدًا أنك قد كونت رأيك من البداية .. ولست فى انتظار رأيى فأنت قد اعتبرتها سد خانة .. مدة التلمذة .. وخلاص ..

والزواج ياعزيزى ليس بالعافية .. والحب لا يمكن إثارته بالإشفاق والتهديد بالانتحار ..

أظن أنها ستدفع ثمن عروضها الرخيصة .. ولن يجديها انتحار أو صراخ .. أو بكاء .. فأنت قد كونت رأيك من زمان ..

٣٥

البحث عن مقياس

أنا فتاة فى العشرين .. أشتغل عاملة فى شركة . لى أسلوب فى حياتى اخترته واقتنعت به ومشيت عليه طول حياتى .. هو أن ألتزم فى علاقاتى مع زملائى الأدب والاحترام فأكون صديقة للكل دون أن أكون حبيبة لأحد .. وأحتفظ بعواطفى لنفسى لا أبتذلها وأعرضها للهوان أمام اللى يسوى واللى مايسواش ..

كانت نظريتى ألا أفتح قلبى إلا للرجل الذى يتزوجنى .. وأبتعد عن اللف والجرى ..

وكان رأيى فى غراميات البنات زميلاتى .. أنها ليست غراميات فى الحقيقة .. وإنما هى مرمطة ..

وكان أسلوبى هذا يلقى السخرية من الجميع .. البنات والرجال على السواء .. البنات يقلن عنى شيخة .. والرجال يقولون عنى رجعية .. وبيقية .. طالعة فيها .. أليطة .. وعلى إيه ده كله ..

ولكنهم مع هذا كانوا يحترمونى ويحسبون لى ألف حساب .. وكان أخى يوافقنى على رأيى .. ويعيش فى حياته الخاصة كما أعيش أنا فى حياتى .. وكان هذا يعطينى القوة لأمضى فى طريقى ..

ثم حدث شىء .

أحب أخى جارتنا .. وهى فتاة معروفة بسوء السمعة .. وهو نفسه يعلم بسوء سمعتها وسوء أخلاقها .. وكان يحكى لى أنه رآها تمشى مع فلان على أنه

خطيبها .. ثم تستبدل به اليوم التالى رجلا آخر تقول أيضًا إنه خطيبها ..

ثم يحكى لى أنه رآها تهرب عشيقها من النافذة لأن أخاها دق جرس الباب .. ويقول إنها فتاة سيئة الخلق .. وإن آخرتها حاتكون زى الزفت ..

وهذه الفتاة هى التى أحبها .. وتدله فى حبها .. ثم فعل ماهو أدهى وأمر .. تقدم للزواج منها ..

وحينما صرخت فى وجهه وقلت له كيف تتزوج فتاة أنت نفسك تعلم أنها سيئة ومشيت مع عشرة غيرك .. أجابنى فى برود .. أنه قد اكتشف أن البنت التى لها ماض أفضل بكثير من التى لها مستقبل .

وأنها أحسن من البنت التى ليست لها تجارب ..

وانهارت مثالياتى كلها دفعة واحدة ..

ماذا جرى لعقولكم يارجال .. كيف تهون عندكم العفة إلى هذه الدرجة .. وماذا نفعل حينما نسمع مثل هذا الكلام ..

حينما نرى أن الابتذال هو الطريق الذى يوصل إلى الزواج .. والاحترام والعفة والأدب والأخلاق هى الطريق المسدود الذى لا يوصل إل شىء ..

حاجة تحير ..

هل كل الرجال يقولون هذا الكلام ..

ماذا نفعل لنريح ونستريح .. وقولوا لنا لنعرف برنا من بحرنا ..

* * *

مشكلة هذا الجيل أن كل واحد فيه يفكر على طريقته ..

المقياس الواحد العام المتفق عليه ذاب وتفتت إلى عدة مقاييس ..

هناك الرجل الذى يبحث عن بنت زمان ست البيت التى لا تخرج فى الشارع ولا تعرى صدرها .. ومقياس الصلاحية عنده أن تكون البنت « خادم » .

وهناك الرجل الذى تعجبه البنت التى تحمل شهادة وتخرج وتعمل ..

وهناك الرجل الذى تعجبه البنت الدايرة ولا يهمه إن كانت خسرانة أو مش خسرانة ..

والخطر كل الخطر أن ينظر كل واحد إلى الآخر ويقلده فى ذوقه .. أن تنظرى أنت إلى أخيك ويسقط فى يدك من الحيرة .. وتشكى فى نفسك وفى سلوكك .. وتنظرى إلى البنت الخسرانة .. وتحاولى أن تقلديها فى خسارتها لتتزوجى .. وأنت غير مقتنعة بأسلوبها .. وأنت تحتقرينها فى نفسك .. وتكون النتيجة هى الفشل المؤكد فى الزواج .. وفى الخبص .. على السواء لأنك عشت فى لون غير لونك ..

لا تقولى ماذا يريده الرجال منا نحن النساء .. وإنما قولى لنفسك .. ماذا أريد أنا ..

إن الرجال ألف لون ولون .. كل رجل له طلب .. وله حلم .. وله نموذج يحلم به غير النموذج الذى يحلم به الرجل لآخر .. الجيل مفكك ليست له راية مذهبية واحدة .

وإذا حاولت إرضاء كل الرجال . فسوف تعيشين كالحرباء .. كل يوم بلون .. وتخسرين نفسك دون أن تكسبى رجلا واحدًا .

حاولى أن تبحثى فى نفسك أنت عما تريدين ..

أنت مقتنعة بالعفة والأدب .. عيشى عفيفة مؤدبة وستجدين رجلك الذى

يتفانى فى حبك .. ويجد فيك أنت نموذجه الذى يحلم به ..

حذار أن تنظرى حولك إلى ما تفعل البنات .. وإلى ما يقوله الرجال .. وإلا فسيكون سقوطك مضاعفًا .. سقوط فى نظر الناس .. وسقوط فى نظر نفسك .. وهذه هى الكارثة ..

إن أخاك واحد من الرجال .. والرجال ليسوا كلهم كأخيك أبدًا .. إن كل واحد فيهم يقول كلامًا غير الآخر .. ولا داعى لليأس . فمازالت العفة هى الحلم العزيز لأغلب الرجال .. ومازالت الدنيا بخير .

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3